٥٢٥
النحاس
525
HARLEQUIN

www.elromancia.com
مرمورية

حب وكبرياء

كاي غريغوري

حب وكبرياء

كاي غريغوري

«إن رايان كونيسكي هو، دون شك، اكثر الرجال الذين عرفتهم غلظة وسوء سلوك.»

منذ اللحظة التي وقعت فيها عينا أنجيلا على رايان، أدركت أنه مبعث للضيق،ولكن لم يكن في نية انجيلا ان تقع في الحب مرة أخرى. فلماذا إذن، يجعلها هذا الرجل المغرور المتغطرس تشعر بهذا الوهن في ركبتيها؟ هل تراها وقعت في الحب حقاً؟ ام هو لا شيء اكثر من لحظة مرت من جنون صيف؟

قال رايان برقة: «لا بد أنني كنت مخطئا إذن.

كنت أظنك من ذلك النوع من النساء اللواتي يحببن اللعب بالنار.» فأجابت أنجيلا بحزم: «إنني من ذلك النوع من النساء اللواتي يكرهن الرجال الخشنين المتعجرفين عديمي اللباقة.»

وتملكها الذعر وهي تراه يضحك قائلاً: «هل أنت كذلك حقاً؟ في هذه الحالة، هناك أمر أو أمران عليك ان تعرفيهما عني.»

كاي غريغوري

نشأت كاي غريغوري في انكلترا ولكنها انتقلت إلى كندا في سن المراهقة، وهي الآن تعيش مع زوجها في فانكوفر. لهما ولدان انتقلا حديثاً إلى منطقة بعيدة لصيد الأرانب، تاركين والديهما مع حارس واحد هو كلب الأسرة. وقد تنقلت كاي بين أعمال اكثر عدداً من أن تتذكرها وأفضلها كتابة روايات عاطفية لدار ميلز وبون للنشر.

٥٢٥

khouloub Abir 525

حب وكبرياء

كاي غريغوري

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

خلعت أنجيلا جاكتتها ذات اللون الرمادي الفاتح، ثم مسحت جبينها بذراعها الرطبة، وهي تقول: «هل تظنين أن اعصاراً قد حمل المكتب، دون أن أرى ذلك، ليلقي بنا بعد ذلك بعنف في وسط الصحراء؟ ليس من المعتاد أن يكون الجوّ بهذه الحرارة في شهر أيار (مايو).»

وعندما لم يجبها أحد، استدارت نحو المكتب حيث تجلس السكرتيرة عادة، ثم تذكرت أن ليس لديها سكرتيرة. فتابعت تقول، ولكن كان يمكن أن أحظى بواحدة لو لم يكن هناك نوع من جراثيم الغرام في حالة عدوى في هذا المبنى. وكانت بهذا، تشكو متذمرة إلى الجدران البيضاء التي لم يبد عليها أي اهتمام بشكواها، وهي تتابع قائلة من حسن حظي أن لديّ أنا مناعة ضد عدوى تلك الجراثيم.

وحيث أن السكرتيرتين الاخيرتين لأنجيلا، قد تركتا مكتب المحامية أ. ب. بادينغلي ممتثلتين لما أملاه عليهما قلباهما، فقد شعرت أنجيلا بأن ثمة ما يجعلها تشكر حظها على هذه المناعة التي لديها. ولكن ذلك لا يعني أن فيث ستشكرها لاعتبارها زوجها ماكس كين بمثابة جرثومة. وفكرت في متسلق الجبال الوسيم ذاك بابتسامته العذبة. ثم أن سارة أيضاً لم تكن لتعتبر حبها لزوجها بريت جرثومة معدية بحاجة إلى مضاد حيوي.

تمطت أنجيلا، ثم اجتازت الغرفة لتقف إزاء النافذة. بدا لها الجو في الشارع اكثر حرارة. كان الحب في رأيها، على ما يرام في مكانه الطبيعي، ولكن كانت تمر بها أوقات تتمنى فيها لو لم يكن مكانه الطبيعي هو مكتبها. فقد كان بقاؤها دون سكرتيرة، شيئاً لا يحتمل. وحتى الآن، لم تجذب اعلاناتها في صحيفة كاليه كوف أياً من طالبات العمل.

أغلق الباب الذي يقود إلى مكتب كونيسكي العقاري عبر الطريق بشكل عنيف مسموع. وألقت أنجيلا نظرة نحوه وهي تتساءل عمن تراه يملك مثل هذه الحيوية التي تدفعه إلى اغلاق الأبواب بمثل هذا العنف، في مثل هذا الجو الحار.

كان هنالك شخص يقف منتصباً على الرصيف، مرتدياً بنطال جينز وقميصاً مقفلاً. وضعت أنجيلا نظاراتها على أنفها لتتمكن من رؤية زائر السيد كونيسكي هذا، بشكل أفضل، ولكن، لتراه هو أيضاً، رافعاً عينيه ناظراً إلى السماء. كان هذا العميل ذا مظهر حسن. فقد كان قوي البنية، عريض المنكبين، ذا شعر ذهبي داكن وذقن قوية ذات غمازة. ولم تستطع أن ترى لون عينيه ولكن حاجبيه كانا قاتمين.

وقف ذلك الرجل أمام مكتب كونيسكي، واضعاً يديه في جيبي بنطاله، وهو ينظر إلى السماء الزرقاء، أتراه يشعر بحرارة الجو وعدم الارتياح كما تشعر هي؟ لا يبدو عليه ذلك. فقد كان يبدو هادئاً متمالكاً لنفسه، ومن ذلك النوع من الرجال الذي يثبت أمام نيران الأعداء. كما أن في طريقة

وقوفه تلك، كان شيء ما يجعله يبدو وكأنه شخصية خاصة لا يمكن الوصول إليها، شخصية متفردة حذرة ذات فطنة ودهاء.

والخلاصة أنه كان يمثل لها تحدياً. وابتسمت أنجيلا متأملة. ومن يدري... ربما كان متزوجاً ولديه ستة أطفال بالغو الصخب.

في تلك اللحظة، أخذ ذلك الرجل الذي كانت تراقبه، يعبر الطريق. وذكرتها طريقته المتهادية في السير، بهرٍ صغير في طريقه لتحصيل وجبة غذائه. وعندما اقترب منها، أمكنها أن ترى لون عينيه اللتين كانتا رماديتين قاتمتين، وذلك الأثر لجرح قديم والذي كان ينحدر من فوق عينه اليمنى.

وفي اللحظة التالية، كان قد أصبح تحت نافذتها تماماً، عند ذلك، قامت أنجيلا بادينغلي المحامية الرصينة العاقلة، بعمل لم تقم بمثله مذ كانت طفلة. فقد تصرفت على الفور دون أي تفكير في النتائج.

إذ عندما وقف زائر هاري كونيسكي ينظر إلى ساعته، تناولت أقرب شيء كان بجانبها، والذي صادف أنه كان جاكتتها، ثم ألقت بها من النافذة.

وسقطت الجاكتة عند قدميه مباشرة.

حدّق الرجل في الجاكتة عدة لحظات، قبل أن يرفع رأسه ببطء، محدّقاً لتلتقي عيناه بعينيها بنظرة حادة شعرت معها بأنه أدرك بأن سقوط جاكتتها لم يكن صدفة.

وقال لها ببرود: «أعتقد أن العادة هي اسقاط منديل.» كان في صوته من الإزدراء ما جعلها ترتبك بينما كان هو

www.elromancia.com

يتابع قائلاً: «أم أن العادة قد تغيرت منذ كنت أنا في المدينة آخر مرة؟»

وشهقت أنجيلا وهي تقول متلعثمة: «لم أكن... إنني لم...»

فقاطعها: «طبعاً لا. كل ما في الأمر أنها انزلقت من بين يديك.»

فأجابت: «هذا ما حدث فعلاً. إنني...» ولكن هذا لم يحدث. لقد اسقطت الجاكتة عمداً لكي تجذب انتباهه. ولا بد أنها كانت خارجة عن عقلها. وعادت تقول: «إنني آسفة. لم أقصد أن أجفلك.»

فقال وهو ينحني ليلتقط الجاكتة، ثم يؤرجحها بطرف اصبعه: «ولكنك لم تفعلي ذلك، وأظن من اللياقة أن أصعد بهذه الجاكت وأعيدها إليك مع انحناءة احترام.»

فقالت: «كلا. ضعها فقط على درابزين السلم، وسأنزل أنا لأخذها.»

أومأ برأسه وهو يقول: «وهذا بالضبط ما كنت أنوي عمله، يا آنسة بادينغلي. مساء الخير.» وتحول دون اكتراث، يجتاز الشارع بخطوات واسعة، تاركاً إياها قبل ان تتمكن من أن تسأله كيف عرف اسمها.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى المدخل، كان هو قد غاب عن الأنظار.

التقطت جاكتتها وهي تتمتم، ما الذي جعلني غبية بهذا الشكل؟ لا بد أنها حرارة الجوّ، هذا إلى جانب الإرهاق في العمل. ومطّت وجهها ساخرة وهي تفكر في ذلك الرجل الذي كانت قد قابلته في مركز أدوات التزلج عند الشلالات، وكان يبدو لا بأس به.

وخاطبت نفسها بحزم: انك لست بحاجة إلى رجل يا أنجيلا، بل إلى سكرتيرة، وقد حان الوقت لكي تتصرفي في هذا الأمر. اما أن تحضري سارة لكي تملأ الأوراق الرسمية كلما احتاج الأمر لذلك، فهذا ليس حلاً.

جلست وراء مكتبها الأنيق وقد أدركت أنها كانت تتحدث إلى نفسها مرة أخرى. إن عليها أن تكف عن هذه العادة.

أصلحت من وضع نظاراتها وهي تضغط على أزرار الكمبيوتر، ومن ثم أمضت بقية ذلك النهار مستغرقة في العمل بحزم للعثور على مكتب كفء في تقديم المساعدات المكتبية. وكانت تعلم أنها إذا هي سمحت لذهنها بالشرود ولو لحظة واحدة، فإن من المحتمل أن يعود إلى ذلك الرجل الذي علمت من عينيه أنه أدرك جيداً محاولتها الصبيانية تلك في سبيل جذب انتباهه. وهي لم تشأ أن تفكر فيه لما كانت تشعر به تجاه ذلك من احراج.

عندما وصلت أنجيلا إلى مكتبها في صباح اليوم التالي، وجدت في صندوق بريدها عند الباب، رسالة دون طابع بريدي وكانت من فتاة تطلب وظيفة سكرتيرة اسمها روبين بولان. ولم يكن عليها رقم هاتف ولا عنوان، ولكن الآنسة بولان قالت إنها ستتصل بها الساعة العاشرة صباحاً. وبدت في عيني أنجيلا نظرة تهكم. يبدو أن ليس لدى روبين فكرة جيدة عن الاجراءات الرسمية. ولكن المحامين عند حاجتهم إلى عون في المكتب، لا يكون لديهم، عادة، الخيار، كما أنه ليس هناك شخص آخر تقدم لهذا العمل. فعليها إذن، أن تمنح فرصة لهذه الفتاة.

وفي العاشرة إلا خمس دقائق، توالى قرع حاد على الباب، وقبل أن تتمكن من الإجابة، كان الباب قد فتح.

كان شاباً نحيلاً طويلاً ذا شعر أحمر جعد، وقف في العتبة وقد نتأت شفته السفلى بشكل مشاكس.

وقالت أنجيلا: «صباح الخير، أيمكنني مساعدتك؟»

فأجاب الشاب: «إنني روبين.»

ونظرت أنجيلا إليه بحيرة وهي تزيح عن عينيها خصلة من شعرها البني، ثم تسأله بحذر: «روبين بولان؟ هل أنت روبين بولان؟»

فأجاب: «نعم.»

فعادت تسأله خشية أن يكون ثمة خطأ: «وأنت قد قدمت طلباً للعمل كسكرتير عندي؟»

فأجاب: «هذا صحيح.»

وفكرت هي، حسناً إذا هي قبلته في العمل، وهو الشاب القليل الكلام، فهذا يعني أنه لن يلهيها بالثرثرة. وهذه ميزة لا بأس بها. وسألته: «هل تحسن الطباعة على الآلة الكاتبة؟»

فأجاب: «نعم، كما أنني أصنع قهوة جيدة.»

فابتسمت وهي تقول: «حسناً، إن هذا شيء حسن. هل لك أن تملأ طلب العمل؟»

فأغلق روبين الباب خلفه، ثم استند إليه واضعاً يديه في جيبيه وهو يقول: «ولماذا؟ لكي تجدي صفة تستندين إليها لرفض قبولي في العمل؟»

واستندت أنجيلا إلى الخلف ثم رفعت النظارات عن عينيها. فقد كان ضعف الرؤية لديها يسهل عليها الأمر

عندما تريد أن تكون سيئة الخلق، وأجابت قائلة: «كلا، ولكنني أريد معلومات عنك اكثر مما اعطيتني، وأنا أفضل أن أعرفها كتابة، ولا بد لي من القول إنني إذا كنت أريد أن أرفضك، يا صديقي، فقد أوجدت لي العذر لذلك، وهو إذا كنت ستعبس في وجوه عملائي بهذا الشكل، فأنت ستجعلهم يهربون خائفين. والآن، هل تريد أن تملأ الطلب أم لا؟»

فأجاب: «نعم.» وتناول منها الطلب الذي قدمته إليه وهو يبتسم بنوع من الاعتذار.

أعادت أنجيلا وضع نظاراتها على عينيها دون أمل كبير في أن مشكلة حاجتها إلى سكرتيرة، قد حلت، ثم أخذت تملأ عقد الاستخدام، بينما جلس روبين يملأ الطلب.

وأعادها إليها بسرعة اكبر مما كانت توقعت. وقد سرها أن خط الشاب كان واضحاً. كما لاحظت، بشيء من الدهشة أنه يملك كل المؤهلات المطلوبة إضافة إلى شهر تدريب أمضاه مع شركة محامين.

وسألته: «شهر فقط؟ لماذا تركت الشركة؟»

فأجاب: «لم أكن أنا الذي تركت، فقد كانت الوظيفة مؤقتة.» وبدا الأمر مفهوماً. وتابعت القراءة وهي تحس بفيض من التوتر ينبعث من روبين بولان الذي وقف أمامها واجماً لسبب لم تفهمه.

وعندما وصلت في القراءة إلى أسفل الورقة، اكتشفت سبب وجومه ذاك. فقد كان تحت السؤال التقليدي المطبوع، هل سبق وصدر ضدك حكم جنائي؟ كتب هو الجواب: نعم.

تأوهت وهي تقول: «أهي سرقة سيارة؟»

فأجاب: «نعم. وكذلك سرقة منزل.»

أومأت برأسها ثم سألته: «أثمة شيء آخر؟»

نظر إليها بحدة وهو يقول: «ألا يكفي هذا؟»

قالت: «يكفي لماذا؟»

فأجاب: «يكفي لكي ترفضي اعطائي الوظيفة.»

فهزت رأسها قائلة: «ليس من الضروري أن ارفضك. ولهذا سألتك ان كان ثمة شيء آخر.»

فأجاب: «كلا. هذا كل شيء. وقد حكم عليّ مع وقف التنفيذ.»

فسألته: «أهذه هي المرة الأولى التي تخرج بها عن القانون؟»

فأجاب: «نعم.»

فأخذت تنقر بقلمها على المكتب وهي تهمهم. وما لبثت أن وضعت القلم جانباً، وأشارت إلى كرسي قريب منها، قائلة: «اجلس يا سيد بولان.»

فجلس ببطء وهو يقول مرتاباً: «اتعنين أنك من الممكن أن تعطيني الوظيفة؟»

فأجابت: «ربما. إنما قل لي، من هو الذي اخبرك عن حاجتي إلى سكرتير؟»

فأجاب: «السيد كونيسكي.»

فقالت: «آه، انك تعرف هاري إذن، ان هذا يوضح الأمر. فليس هنالك شيء يحدث دون أن يعلم به هاري كونيسكي.»

فهز روبين رأسه قائلاً: «أنا لا اتحدث عن السيد هاري كونيسكي وإنما عن ابنه رايان.»

فقالت متعجبة: «ابنه...؟ آه، نعم. لقد سمعت أن له ولداً. فقد كانت هناك بعض الشائعات...» وسكتت فجأة. طبعاً هناك شائعات. فإن مدينة كاليه كوف معتادة على ذلك.

وكان روبين يهز رأسه بقوة وهو يقول: «نعم. إنه هو. لقد دافع عني في المحكمة. ولكنه قال انني اذا أنا عدت إلى مثل ذلك العمل، فهو شخصياً سيظل يرفسني إلى ان يوصلني إلى بلدي بورتلاند.»

ألقت انجيلا نظرة على الطلب، ثم قالت: «هو، إذن الذي منحك العمل في مكتبه.»

أجاب: «نعم. إنما لفترة مؤقتة. ثم اتصل بي هاتفياً أمس واخبرني أنك بحاجة إلى سكرتير، وأن آتي إليك بسرعة.»

قالت: «فهمت، ثم انك تسكن في بورت انجلس. أليس كذلك؟»

فأجاب: «نعم. ولكن بامكاني الانتقال بسهولة، لقد اخبرني رايان ان بامكاني أن أسكن مع أبيه وعمته إلى ان أجد لنفسي مكاناً أسكن فيه.»

فقالت انجيلا: «نعم.» وأخذت تنظر إليه مفكرة، من فوق حافتي نظاراتها. كان شكله لائقاً بما فيه الكفاية. وكذلك كان صادقاً صريحاً وهو يتحدث عن حكمين ضده. وعادت تقول: «وأين هو رايان كونيسكي الآن. ايمكنني التحدث إليه؟»

فاحمر وجه روبين وقال: «ألا تصدقينني؟»

فأجابت وهي تشير إلى الطلب: «ولمَ لا أصدقك وكل ما في هذه الأوراق سهل التحقق منه؟ ولكنني فقط أريد التحدث إلى السيد كونيسكي.»

فأجاب: «إنه مع أبيه. هل أخبره بأنك تريدين رؤيته؟»

فأجابت: «نعم من فضلك. إنما يحسن بك أن تخبره بذلك بشكل اكثر لياقة.»

بعد ذلك بساعة، وعندما ابتدأت الشمس تنحدر نحو الأفق، اندفع الباب مرة أخرى، ليدخل منه رجل طويل القامة متصلب الفك متقدماً نحوها بخطوات واسعة. ونظرة واحدة إلى وجهه، كانت كافية لكي تدرك انجيلا منها أن ارسالها بطلبه، لم يبلغ به بشكل لائق. وان ذلك الرجل صاحب العينين الرماديتين الباردتين، لم يكن هائلاً وعندما حدقت في تلك العينين، كادت تفلت منها آهة.

هتفت: «أنت؟» ماذا تراها كانت تلك الشائعات التي سبق وسمعتها؟ إنها شيء يتعلق بماضيه... عليها ان تحاول معرفتها. واعترفت لنفسها بحسرة ان ذلك لا يشكل مشكلة في كاليه كوف.

قال زائرها ببرود: «ها نحن نجتمع مرة أخرى، يا آنسة بادينغلي. لقد أخبرني روبين انك استدعيتني لسماع اقوالي.»

أجابت: «حسناً، إنني...» وازدردت ريقها. لماذا له مثل هذه السيطرة عليها؟ فهي ليس من عادتها ان تتلعثم بالكلام. وقط لم يكن من عادتها أن يرتبط لسانها بهذا الشكل.

قالت وهي تتمالك نفسها: «إنني لم استدعك يا سيد كونيسكي كما تقول، انني فقط اخبرت روبين بانني أريد رؤيتك.»

فقال وهو يستند إلى مكتبها ويميل نحوها: «لا بأس. ها

أنت رأيتني، فهل ترينني حائزاً على الشروط المطلوبة لاجتياز الامتحان؟»

تبادر إلى ذهنها أنه طبعاً حائز على ذلك. فهو بديع رائع. أو ربما كان كذلك لو لم تظهر عليه كل هذه القسوة والصرامة. ولكن مع هذا كانت تحيط به هالة من الرجولة جعلتها تفكر في أنه اكثر من مجرد محامي روبين ربيب المدن المرفه. فهو يبدو رجلاً حقاً لولا...

وجاهدت لكي تتمالك نفسها وهي تقول بلهجة ذوي الأعمال: «ليس ثمة امتحان يا سيد كونيسكي.»

فتحت فمها لتسأله عن روبين، ولكنها، ويا للغرابة وجدت نفسها تسأله بدلاً من ذلك: «وماذا بالنسبة إليّ يا سيد كونيسكي؟ هل تراني أجتاز الامتحان؟»

فاستقام في وقفته، وعقد ذراعيه فوق صدره وقد لاحت على شفتيه ابتسامة مشرقة، ثم مال برأسه جانباً وهو يقول متعمداً أن يبدو وكأنه يعدّد مزايا حصان: «هم م. م. م... أنيقة رقيقة... شعر بني ينسدل حتى الكتفين... انني أحب اللون البني. معتدلة الطول، متناسبة القوام. عينان عسليتان جميلتان خلف هذه النظارات. بشرة بلون القشدة أنف لطيف مستقيم... شفتان ناعمتان.»

أخيراً، استطاعت انجيلا ان تتكلم، فقالت: «سيد كونيسكي انني لم أكن اسألك...»

فاتسعت ابتسامته إلى حد يثير الحنق وهو يجيب قائلاً: «لم تكوني تسألينني؟ أقسم ان هذا ما كان. وعلى كل حال، فأنا لست داخلاً في المساومة.»

فأجابت: «أية مساومة؟»

وبدلاً من أن يجيبها مباشرة، جلس على زاوية مكتبها وقال بلهجة تخلو من الدفء: «أردت رؤيتي وبهذا يمكنك أن تشرحي لإبن هاري كونيسكي أن ليس بإمكانك أن تستخدمي فتى بدلاً من فتاة، خاصة إذا كان سجله غير نظيف، أليس كذلك؟ وهذا أسهل عليك من أن تصارحي روبين بذلك. وقد تصورت أنني سأتفهم هذا الأمر بوصفي من رجال القانون. ثم أدركت أني نفس الشخص الذي وضعت انظارك عليه امس، فحاولت أن تغيّري من خطتك.»

فقالت انجيلا وقد اخذت تغرز اظافرها في الجلد المبطن به الكرسي: «ما هذا الذي تتحدث عنه؟ إنني لم أقرر شيئاً بعد بالنسبة إلى روبين. وقد فكرت في انك ربما بإمكانك أن تلقي بعض الضوء على خلفياته، كما أنني لم أدرك من أنت قبل أن تدخل إلى مكتبي. ولكنني لم أضع خطة قط، وأنا لا اعتبرك موضوعاً للمساومة.»

فقال: «الحق معك.» ونطق بهذا بمرارة ادهشتها، فسألته: «ما الذي تعنيه؟»

أجاب: «هذا لا يهم. اسمعي...» ووقف فجأة، ثم تهالك على أحد مقاعدها السوداء المطعمة بمعدن الكروم، وهو يقول: «لنعد إلى الموضوع منذ البداية. فأنت قد تحرشت بي أمس، وربما كنت أنا احمق إذ لم استجب فأنت امرأة جذابة. ولكنني افضل ان اكون انا البادىء بكل تحركاتي. كما أنني لا أحب الألاعيب، فأنا أرى الكثير منها أثناء عملي. ولهذا لم أقبل قفاز التحدي ذاك...»

فقالت: «انها جاكيت في الواقع.» ولم تكن انجيلا تصدق

أن مثل هذا النقاش يدور بينهما، ولكنها لم تجد سبباً يدفعها إلى الادعاء بأن كلامه غير صحيح. فقد كان واضحاً أنه متغطرس ومغرور كلياً، ولكنها هي التي تحرشت به رغم أن تصرفها ذاك كان دون تفكير. لقد كان غلطة ذلك أنها هي ايضاً لم تكن تحب الألاعيب.

ودهشت وهي تراه يقول لاوياً شفتيه: «هذا افضل ما دمت على استعداد لقبول روبين في هذه الوظيفة تبعاً لمؤهلاته فقط وليس لشيء غير هذا.»

وصممت فجأة، على ان تقلب المناضد على رأس هذا الرجل المغرور المغالي في الثقة بنفسه.

«اسمعي، يا آنسة بادينغلي. من الواضح أننا، نحن الاثنين، متضادان. فأنا متأكد من أنك تريننني متعصباً مغروراً، وهذا لا يهمني على الاطلاق...»

فأجابت: «لا أظن أنه ينبغي لك ذلك.»

فقال وهو يضع ساقاً على ساق، ناظراً في عينيها مباشرة: «ربما معك حق. ولكنني آمل أن لا يطغى شعورك نحوي على قرارك بشأن روبين. هل لي أن اسألك عن سبب رغبتك في رؤيتي؟»

فأجابت: «إنني لم أشأ رؤيتك، نعم لقد طلبت ذلك ولكنني لم أكن أعلم أنه انت. فقد قال روبين إنه أنت الذي نصحته في التقدم لهذه الوظيفة، وكنت أريد أن أعرف لماذا فكرت في أن فتى قد أدين في جنحة، من الممكن أن يعمل في مكتب محاماة.» وأصلحت من وضع نظاراتها وهي تتابع: «ان لعملائي نظرة سيئة إلى اللصوصية، وأنا يا سيد كونيسكي، لا أريدهم أن يشعروا بأن عليهم ان

يتفقدوا جيوبهم في كل مرة يزورون فيها محاميتهم.»

فقال: «فهمت.» وبدا وجهه مبهماً خالياً من أي تعبير وكأنه صفحة بيضاء. ولكن انجيلا أحست بأن وراء هذا الغموض كانت تكمن أحاسيس تغلي غلياناً.

سألته بارتياب: «هل فهمت حقاً؟»

فأجاب: «أظن ذلك. فأنت من ذلك النوع من الناس الذين يظنون انه إذا حدثت جريمة، فإن على فاعلها أن يدفع الثمن إلى الأبد. إنك تتحدثين عن التقويم والاصلاح بلسانك دون ايمان منك بذلك. لأن شخصاً مثل روبين يملك كل المقومات التي تجعله يصبح مواطناً صالحاً فيما لو كان هناك من يسنده ويوجهه، مثل هذا الشخص قيمته عندك ليست اكثر من قيمة الحشرة التي تجدينها في مكتبك.»

شعرت انجيلا بغضب لم تشعر بمثله منذ طلب منها كلفين أن تترك مدرستها، فقالت له بحدة: «والآن، استمع إليّ.» ووقفت متكئة بيديها على المكتب تمنعهما بذلك من أن تمتدا إلى عنقه تخنقانه. وتابعت تقول: «إياك ان تلومني لأن روبين قرر أن يسرق السيارات ويسطو على بيوت الأبرياء.»

فقال: «إنني لم أكن ألومك.»

فردت قائلة: «بل كنت تفعل ذلك. إنني أعتقد أن الناس يمكنهم أن يغيروا انفسهم بنفس القوة التي يمكنك انت ذلك. ولكن الحقيقة ان الكثيرين لا يحاولون. وأنا أحب ان اعرف السبب الذي يجعلك تظن أن روبين حالة استثنائية.» كانت تعلم أنها لا بد تبدو كدجاجة تحمي فراخها، ولكنها لم تستطع إلا ان تتصرف بهذا الشكل. فقد كان رايان كونيسكي

اكثر الاشخاص الذين عرفتهم مضايقة وازعاجاً، ولسوء الحظ، كان ايضاً اكثر الأشخاص جاذبية.

أجاب وهو يدير نفسه بالكرسي من جانب إلى جانب مضيفاً إلى الاضرار بالكرسي هذا، عدم التهذيب، إذ عقد يديه خلف رقبته ممعناً النظر في السقف بدلاً منها: «لا بأس. فأنا لن اضجرك بالتفاصيل عن حداثة روبين المهملة. أو كيف اصبح تحت تأثير اصدقاء منحرفين. فأنا اوافقك على ان هذه ليست مشكلتك. وعلى كل حال، سأقول ان محاكمته، والحكم الذي صدر بعد ذلك قد اعاده إلى رشده. وقد عمل شهراً في مكتبي سكرتيراً لشريكي. وقد ادهشنا بسلوكه الحسن. وكان يتقبل المزاح عن شعره الأحمر وافتقاره إلى الجاذبية...»

فقاطعته قائلة: «إذا كان انساناً مثالياً كما تقول، فلماذا لم تحتفظ به في شركتك إذن؟»

أجاب: «ذلك لأن السكرتيرة التي كانت في إجازة قد عادت وليس بإمكاننا أن نوظف عندنا كل جانح عن القانون ندافع عنه.»

فقالت: «آه، إذن فأنت تظن...»

فقاطعها قائلاً: «أنا أظن أنك لو منحته فرصة، فهو حتماً سيكون حسن السلوك تماماً كما كان مع شريكي مارتن.»

شعرت انجيلا بحرارة الجو، فدفعت شعرها إلى الخلف، ثم عادت تجلس مرة أخرى، وقد تلاشى غضبها. كان واضحاً أن رايان يشعر بعطف بالغ على هذا الفتى الذي في حمايته. ومع أنه لم يكن ثمة سبب يجعلها تثق بحكمه هذا،

فإن من غير المعقول أن يتكلم معها بشأن شخص غير مناسب، وهذا ما يضر بسمعة شركته.

تمتمت وكأنها تحدث نفسها، إنه على الأقل، لن يترك العمل لكي ينشىء اسرة كما فعلت السكرتيرتان السابقتان.

استدار رايان يواجهها قائلاً: «هل تلك الملاحظة هي من فساد الذوق كما سمعتها؟»

فأجابت تعترف: «نعم، أظنها كذلك، وإذا كنت تحاول أن تخبرني بأن عليّ أن اخجل من نفسي...»

قال: «لقد خطر هذا ببالي.»

قالت: «انك على حق وان كنت أكره الاعتراف بذلك.» وترددت وهي تمعن النظر من تحت اهدابها، في وجهه الجامد، ثم تابعت تقول: «حسناً، يا سيد كونيسكي، لقد ربحت، اعني روبين قد ربح.»

ارتسمت على ملامحه ابتسامة هادئة جعلته يبدو اصغر سناً وأقل سيطرة، وهو يقول: «اتفقنا إذن؟»

وجدت انجيلا نفسها ترد على ابتسامته بحذر، وهي تهز رأسها قائلة: «كلا، ليس الأمر بهذه السهولة. فأنا سأجربه شهراً قبل ذلك، فإذا أنا رضيت عنه فسأبقيه عندي.»

قال: «انك تدهشينني، يا آنسة بادينغلي.»

فقالت: «لماذا؟ هل لأنك لم تجدني امرأة منحرفة مغرورة متوحشة تستمتع بأن توصد الأبواب امام الناس؟»

وكان دور رايان، هذه المرة، في الوقوف. فوضع راحتيه على المكتب مائلاً نحوها وهو يقول: «إذا شئت ان تعرفي، فهذا صحيح. هذا هو السبب تماماً.»

لقد كان صريحاً على كل حال. ولم يبد منه، حتى الآن سوى التجاوب. ولكن ثمة شيئاً في صوته اثار حيرتها. شيء جعلها تشعر بعدم الارتياح. فقالت بسرعة: «إنني لست بهذه الصفات مطلقاً.» وعندما استمر في التحديق فيها وكأنها لم تقل شيئاً، اضطرت لأن تضيف قائلة: «ولكن الحقيقة هي أنني بحاجة ماسة إلى سكرتيرة. فإذا كان روبين بالصفات الحسنة التي تقول فليس أمامي من خيار سوى القبول.»

فقال ببرود وقد فارقته ابتسامته: «وإذا كان أمامك الخيار؟»

فأجابت: «لا تضغط عليّ، يا سيد كونيسكي. فقد نلت ما جئت لأجله.»

فقال: «ليس تماماً.»

فسألته: «ماذا تعني؟»

أجاب: «لقد سبق وقلت انك لن تطلبي مواصفات أخرى لكي تقرري القبول.»

فقالت بسرعة: «كلا بالطبع، فأنا لا أطلب شيئاً، أعني ليس ذلك النوع من المواصفات.»

فسألها: «وما هو النوع الذي تطلبينه؟»

فترددت ثم أجابت: «حسناً، انني لا أريد...»

قال بلهجة عادية: «لا تريدينني؟ ولكنك سبق وأوضحت ذلك بجلاء، يا آنسة بادينغلي. ولكن يخطر في بالي أنه ربما كانت هناك مشكلة وهي أنه ربما أثبت روبين أنه موظف جدير بالعمل، ربما تقدمت إليك فتاة شابة ذات سجل نظيف تطلب عملاً وذلك قبل نهاية شهر التجربة؟ ترين أنني أطلب

ضماناً لأتأكد من أنك لن تطرديه من العمل دون سبب. أطلب شيئاً يتممم هذه الصفقة.»

فحملقت فيه ذاهلة دون ان تنبس. ولكنها، عندما مد يده إليها، سلمته يدها ليوقفها على قدميها ببطء.

الفصل الثاني

ضغطت أصابع رايان على راحة أنجيلا، وتساءل ان كانت تعلم كم تبدو جميلة عندما تتخلى عن ذلك القناع العملي الذي تضعه لكي تبقيه بعيداً عنها. وعندما فارقها حذرها، بدت كحبيبة صغيرة تنتظر حبيبها، وهاتان العينان الكبيرتان العسليتان خلف النظارات كانتا تحملقان بقلق كغزالة، انما غزالة قد اختلط عليها الأمر اذ لم تعرف ان كان هو صديقاً ام عدواً.

أخذ ينظر إلى حمرة خفيفة تتصاعد إلى وجنتيها، وتساءل عما اذا كان يريد حقاً ان يصطاد هذه الفريسة غير المتوقعة. في الماضي، لم يكن ليتردد ازاء مثل هذا الأمر، ولكن ذلك كان منذ وقت بعيد، منذ تعلم ان يتجنب كل الصلات غير العفوية تماماً. ولكن في هذه المرأة شيء غير عادي، شيء غريب، فقد كان واضحاً انها كانت تتوقع منه أن يفعل ذلك، مع انها لا تبدو له من النوع السهل منذ أول لقاء.

وقرّر أخيراً ان ذلك لا ينبغي له، فهو لن يكون لائقاً بالنسبة اليها. وهو غير مستعد للبدء بعلاقة عاطفية لن يكون بامكانه ايقافها. خاصة في هذه المدينة السيئة التي تحطم فيها الألسنة أية سمعة.

وازدرد ريقه شاعراً بالمرارة، ثم قلب يدها ليطبع قبلة خفيفة على اصابعها.

قالت تسأله: «ماذا تريد؟» وهي تتمسك ببقية من

www.elromancia.com

شجاعتها المعتادة شاعرة بخفقات قلبها تتصاعد وكأنها تلميذة، وليست محامية مطلقة رصينة ناجحة في حياتها العملية.

أجاب: «كما سبق وأخبرتك، أريد ضماناً بأنك لن تطردي روبين دون سبب، ولكنني اظن انني ظفرت بذلك الضمان، أو، على الأقل، بضمان بسيط هو أن روبين اذا طرد من غير ذنب، فان لدي شيئاً من التأثير على رئيسته، وهذا شيء حسن.»

حملقت فيه انجيلا قائلة: «ما هذا الذي تتحدث عنه؟ انني لم...»

قاطعها: «لم تدلي بأي وعد من نوع التسوية؟ كلا طبعاً فأنت لم تفعلي ذلك، والا لكان ذلك بعيداً عن المهنة.»

قالت: «هذا صحيح بالطبع، وأنا أؤكد لك...»

فقاطعها بطريقة علمت منها بأنه يرغب في أن ينهي اجتماعها هذا قائلاً: «هذا حسن، اذن، ان كلمتك هذه تكفيني، اظنك تريدين من روبين ان يبدأ العمل غداً؟»

أجابت: «نعم، الساعة التاسعة.»

قال: «هذا عظيم، سأهتم أنا بأمر وصوله إلى هنا، وداعاً، يا آنسة بادينغلي، واشكرك بالنيابة عن روبين.»

وفقط، عندما هز يدها مصافحاً، علمت انه كان ممسكاً بها طيلة الوقت، وأنها قد أحبت الشعور بأصابعه القوية الثابتة على يدها. ولكن، في الوقت الذي استطاعت فيه تمالك مشاعرها، كان هو ترك المكتب هابطاً السلالم.

حدقت انجيلا في اثره. كان قد ترك فيها تأثيراً لا بأس به رغم كل غطرسته وغروره، ما الذي كان يعنيه بذلك؟ بأنه

يمكنه ان يشير اليها باصبعه ساعة يشاء، لتأتي اليه مهرولة؟ هل كان يتصور حقاً انها ستدعه يعلمها كيف تدير مكتبها؟ إذن، إذا كان ذلك، فلينتظر الآتي.

في الواقع، خطر لها أن تغير رأيها بالنسبة إلى روبين، مع أنه ليس من العدل في شيء ان تعتبر ذلك الفتى مسؤولاً عن اخطاء مستشاره ذاك.

وخبطت بيدها على مكتبها بضيق، ثم، نظرت إلى يدها تلك بدهشة ممزوجة بشعور غامض. لقد كانت نفس اليد التي كان رايان كونيسكي ممسكاً بها لمدة طويلة، وكانت ماتزال دافئة... وركضت إلى الحمام، مقطبة ثم ابتدأت تملأ مغسل اليدين بالماء البارد.

أثناء الشهر الذي قضاه روبين معها، أثبت كفاءته بشكل رائع وكذلك روحه الفكاهية الحلوة، رغم ان كلامه ما زال قليلاً، ولكن قلة كلامه تلك كانت تسرها كما تسر عملاءها الذين كانوا، عموماً، أكثر اهتماماً بقضاياهم منهم بتبادل الأحاديث. وأمس فقط، أخبرته بأنه قد تثبت في الوظيفة نهائياً.

أما رايان، فانها لم تره مطلقاً بعد ذلك، ولكن روبين الذي كان يسكن مؤقتاً مع هاري كونيسكي وشقيقته شارلوت، أخبرها بأنه عاد إلى عمله في مدينة ستيل، ولكنها عندما حاولت أن تستفسر من سكان كاليه كوف الثرثارين عن المكان الذي كان مختفياً فيه طيلة الاحدى عشرة سنة التي امضتها هي في هذه المدينة، كان الجواب هزة من الكتفين، أو الاقتراح عليها بأن تسأله هو عن ذلك. وقد خرجت أنجيلا من كل هذا بانطباع هو أن رايان لم يكن محبوباً في مدينته.

وفكرت في غرابة هذا الأمر، ذلك لأن كل شخص كان يتحدث عن كل شيء في هذه الأنحاء، كما كان هاري كونيسكي منبع نصف الشائعات على الأقل، فاذا كان الناس لا يتحدثون عن ابنه، فلا بد من أن يكون هنالك سبب. ومع ذلك، فهي متأكدة من أنها قد سبق وسمعت شيئاً في بداية وصولها... شيئاً عن فتى عنيد مشاكس قد جلب العار إلى مدينته. ولكن مثل تلك الأحاديث كانت سرعان ماتبتر.

كانت ترغم نفسها على التذكر بأن ذلك ليس من شأنها، خصوصاً وأن رايان لم يكن رجلها المفضل، صحيح انه ساعدها في الحصول على روبين، وهذا ما ستبقى شاكرة له أبداً، ولكن هذا لا يعني أنها ستهتم فيما لو لم تر رايان هذا أبداً.

ولكن (ابداً) هذه، كانت بالنسبة اليها عصر اليوم التالي.

ففي الصباح، اتصلت شقيقة هاري كونيسكي، عمة رايان، هاتفياً بأنجيلا من مكتب هاري لتخبرها بأنها وجدت أخاها منهاراً على المكتب، ثم سألتها، متوسلة، ان كان بامكانها الحضور.

وإذ سمعت أنجيلا رنة الذعر في صوت شارلوت، لم تشأ أن تسمع المزيد، بل هرعت اليها على الفور، وأوراق عملها تتناثر على الأرض في اثرها.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى مكتب صديقها القديم، كان هاري جالساً وقد بدا عليه الذهول، وتساقط شعره الأبيض الأشعث فوق جبهته. وكانت شارلوت، وقد تملكها الذعر، تروح عليه ببعض النباتات التي جعلتها كمروحة

وكانت في اناء قريب منها. أزاحت انجيلا النباتات من يدها برفق، ثم اتصلت تطلب العون.

وبعد ذلك بربع ساعة، كانت عربة الاسعاف تحمله وشارلوت إلى المستشفى، بينما كانت انجيلا ترغم نفسها على رفع سماعة الهاتف لتتصل برايان. وشعرت بالارتياح حين لم تجده في مكتبه، فتركت له خبراً عن ابيه عند شريكه.

ثم عادت إلى مكتبها حيث حاولت، دون نجاح، التركيز على وصية فرانك فارادي، وهو أحد عملائها.

وأخيراً، اتصلت شارلوت لتخبرها بان هاري كان قد اصيب بأزمة قلبية ولكنه في طريق التحسن. ثم، قبيل المساء وعندما كان فرانك يغادر المكتب، رفعت انجيلا ناظريها لترى رايان يدخل مكتبها بخطوات جندي في الجيش. وكاد يصطدم، في اندفاعه ذاك، بفرانك هذا، فيوقعه ارضاً.

قال رايان بخشونة وهو يمسك بذراع فرانك يمنعه من السقوط: «انني آسف، ارجو ان لا يكون قد اصابك ضرر؟»

فأجاب فرانك وهو ينظر إليه باشمئزاز: «كلا، شكراً.» ثم ترك المكتب بما يشبه الاستياء.

حدقت انجيلا في رايان بصمت وهي تتأمله في بذلة العمل الرمادية التي جعلته يبدو اكثر عنفاً وتوتراً مما تعهد. وبالرغم من حرارة الجو، فقد بدا بارداً.

قال رايان: «آسف، فأنا لم احضر إلى هنا لأفسد عليك عملك.»

قالت: «انك لم تفعل ذلك، فأنا المحامية الوحيدة هنا، الا اذا شئت انت ان تفتح مكتباً هنا.»

قلب شفتيه قائلاً: «لا أمل في ذلك. فشعبيتي هنا تكاد لا تعلو على شعبية أية حشرة في كاليه كوف.»

فسألته، وكانت قد سبق وكونت عنه نفس الفكرة، قائلة: «وما هو السبب؟»

أجاب: «هذا لا يهم.»

فقالت بضيق دون أن يفارقها فضولها: «لماذا تذكره اذن؟»

أجاب هازاً كتفيه: «مجرد عادة.»

فقالت: «وما يعني هذا؟»

التقط قلماً وأخذ ينقر به على المكتب وهو يقول: «لا شيء يستدعي اهتمامك.»

ألقت نظرة على فمه المتوتر، ثم اخذت من يده القلم وهي تسأله: «لماذا جئت إلى هنا؟»

لانت ملامحه وأجاب بصوت تجلى فيه الدفء: «جئت لأشكرك لما قمت به تجاه والدي. لقد قالت عمتي شارلوت انها لولاك، لما استطاعت ان تفعل شيئاً.»

أومأت برأسها ببرود: «كنت أنا التي اتصلت بها شارلوت، فكان علي ان اقوم بما فعلت، كما انه لم يكن ذلك شيئاً ذا اهمية.»

قال: «كان ذا اهمية بالنسبة لعمتي شارلوت.» ورأت عضلات عنقه تتوتر قليلاً، لتدرك انه كان يعاني من صعوبة النطق بكلماته التالية وهو يتابع: «ولي ايضاً.»

قالت برصانة: «هذا واجبي وقد اديته مسرورة.» وتمنت لو لم تكن هذه هي الحقيقة. ذلك انها شعرت فعلاً، بلحظة سرور ضئيلة لكونه كان شاكراً لها. وكان هذا الشعور منها سخيفاً.

كانت قد عاهدت نفسها، منذ اليوم الذي تحطم فيه زواجها، ان تحافظ على حريتها، ولم تجد صعوبة في المحافظة على ذلك العهد. وطبعاً، ساعدها في ذلك، نجاحها في مهنتها.

لقد أخبرها كل شخص عرفته، انها كانت اصغر من ان تكافح بمفردها بعد وقت قصير جداً من تخرجها من كلية الحقوق، وكل شخص كان مخطئاً. فقد نجحت إلى درجة ملحوظة. وكانت مزهوة بنجاحها. وزاد انفرادها بهذا النجاح من غبطتها وقدرتها على العمل.

فلماذا ترى الآن هذا الرجل ذا الشخصية المسيطرة وكأن بامكانه ان يمنحها شيئاً ينقصها؟

قالت فجأة: «إن روبين يعمل بصورة حسنة جداً.»

ذلك أن رايان كان ينظر اليها مقطب الجبين وكأنه يريد أن يتذكر شيئاً نسيه... شيئاً لا يريده هو بشكل خاص.

ازداد عبوسه وهو يقول: «هذا حسن.» وانتظرت منه انجيلا ان يدلي بانتقاد ما، ولكنه لم يقل سوى: «اشكرك مرة اخرى، يا سيدة بادينغلي.»

وذلك قبل ان يستدير خارجاً من المكتب، ومن ثم يهبط السلالم بسرعة ثلاث درجات كل خطوة.

صرخت في اثره: «لا تنس ان تطمئنني عن حالة ابيك، او اذا كان هنالك ما يمكنني ان اساعد فيه.»

فصرخ يجيبها: «لا يمكنك المساعدة.»

فعادت تصرخ قائلة: «حسناً، دعني اعلم على كل حال.» والجواب الوحيد الذي تلقته، كان صفقة الباب خلفه بعد توجهه إلى الشارع.

تمتمت وهي تتوجه نحو النافذة: «يا للحيوان الفظ، ما الضرر في ان يقول بأدب الى اللقاء؟»

راقبته من النافذة وهو يصعد الى سيارته الفا روميو البيضاء الفارهة، ثم يدير المحرك متوارياً في عاصفة من غبار الصيف.

وحدقت باكتئاب في الشارع المختنق بذلك الجوّ الصيفي البالغ الحرارة، ثم مسحت عرقاً كان متجمعاً فوق جبينها، ومن ثم تحولت تنظم مكتبها الذي لم يكن بحاجة إلى تنظيم.

بعد ذلك بأربع ساعات، كانت انجيلا، وهي ترتدي بنطالاً وقميصاً ورديا، تجلس متكئة على شرفة منزلها وبين يديها طبق مملوء بثمار الفريز المغمور بالقشدة، معترفة، بأسى، بأن هذا قد يعيد الى جسدها ما يكون فقده من وزن بعد نصف الساعة من الرياضة البدنية التي قامت بها ذلك الصباح.

كان جاثماً على كتفها طير صغير رمادي ذو صدر احمر وعرف اشعث، وهو ينظر الى هذه الوليمة بعينين براقتين منتظرين.

وما ان وضعت الطبق من يدها، حتى تصاعد رنين جرس الباب.

قال الطير مشمئزاً: «كراك.»

اجابته انجيلا: «اعرف، اعرف، فقد سمعته أنا أيضاً.» ووقفت. من تراه القادم اليها في مثل هذا الوقت؟ فهي لم تكن في انتظار احد. ومنزلها المنعزل في نهاية ذلك الشارع المترب كان من البعد عن المدينة بحيث لا يشجع الزائرين الذين يأتون عرضاً دون موعد.

ربما كان بائعاً بالغ الهمة. ونظرت من خلال منظار الباب قبل ان تفتحه، لترى ان القادم لم يكن بائعاً، بل كان رايان.

وعاد يقرع جرس الباب بفروغ صبر. واطبقت انجيلا فمها بشدة غيظاً ثم فتحت له الباب وادخلته.

كان يبدو اكثر فوضوية مما رأته عليه عندما زارها في مكتبها. فقد كان زر قميصه الأعلى مفتوحاً، ولم يكن يرتدي ربطة عنق على الاطلاق، كما كان شعره الذهبي الداكن مشعثاً بشكل جذاب. تأوهت انجيلا في داخلها، فقد كان من الصعب عليها احتمال هذا الرجل. فهو لم يكن يملك اي حق في ان يبدو بمثل هذه الجاذبية في لباسه ومظهره.

سألته: «ماذا حدث؟ هل ابوك بخير؟»

فأجاب: «انه بحالة ممتازة وهذا ما جئت لأخبرك به.» وشمل ملابسها القليلة بنظرة عدم اكتراث سرعان ما تحول بها جانباً وكأنما كانت ملتفة بغطاء سميك.

قالت: «آه، شكراً، لم يكن بك حاجة الى... اعني كان بامكانك ان تتصل هاتفياً.»

فأجاب: «أعلم ذلك، ولكنني فضلت الحضور بنفسي. واذا شئت ان تعرفي السبب، فقد كنت ابحث عن عذر لكي افلت من مبالغات عمتي شارلوت. فهي تجعل من الحبة قبة كما يقولون، ما كان لهم ان يدعوها تمكث في المستشفى. وقد كان روبين حكيماً إذ فضل البقاء خارجاً مما جعلني الهدف الوحيد لمتطلباتها التي لا تنتهي. وعندما جاءت كلارا مالون، زائرة، اغتنمت انا الفرصة للهرب.»

قالت انجيلا: «انني مسرورة اذ هيأت لك زيارتي عذراً للخلاص من عمتك.» ولكنها لم تكن مسرورة بالفعل، بل

على العكس، شعرت بالاستياء لحضوره وتابعت تقول: «هل ستخبرني، اذن عن حالة ابيك؟»

فأجاب: «ولكنني فعلت، وسيكون في منزله بعد أيام قلائل، وكلما اقترب شفاؤه، اقترب رجوعي الى الحياة المتحضرة.»

فقالت: «وهل مدينة كاليه كوف غير متحضرة؟»

فأجاب: «لا أظن ذلك، هذا اذا كان اللاسلكي هو كل ما تعرفين عن وسائل الاتصالات المتحضرة.» وعندما رأى انجيلا تهم بالاحتجاج، أضاف برقة: «والآن، ألا تخبريني ما الذي يفعله هذا الطير آكل الفراشات على كتفك.»

أجابت: «إن آل ليس آكل فراشات، إنه مرافقي ويعيش معي هنا.»

فقال: «لا بأس، مادمت تقولين ذلك. والآن، هل ستدعيني إلى الدخول وتقديم شراب لي؟»

ولاحظت انجيلا ان هذا لم يكن سؤالاً، فهذا رجل قد اعتاد ان ينال ما يريد.

سألته: «هل لك في عصير الليمون؟»

فأجاب: «لا بأس.»

كان يبدو عليه الارهاق، وعندما نظرت اليه انجيلا عن قرب، شاهدت خطوطاً حول عينيه نتيجة التعب، ما جعلها تشعر بالعطف عليه.

وعندما تبعها الى المطبخ الأبيض بالغ النظافة، قدمت اليه العصير، بينما صنعت لنفسها فنجاناً من القهوة.

وحالما استقر بهما المقام على الشرفة، بينما الطير آل ما يزال جاثماً على كتفها، قالت: «والآن، اخبرني، هل سرت

كل هذا الطريق قادماً الي لكي تشكرني؟ هذا عدا عن رغبتك في الابتعاد عن شارلوت؟»

فألقى عليها نظرة حادة من عينيه الرماديتين وهو يقول: «وماذا غير ذلك يجعلني احضر لأجله؟»

وضع ساقاً على ساق وهو يعبث بكوبه ويتابع قائلاً: «حسناً، اظنني جئت ايضاً لكي اعتذر لخشونتي في اجابتك عندما عرضت علي المساعدة.»

فقالت: «لا بأس في ذلك، فقد كنت قلقاً على ابيك.»

فقال: «هذا صحيح، ولكن قلقي ذاك لم يكن بمقدار قلق عمتي شارلوت. فأنا لم ارها بمثل هذا الحزن منذ...» وسكت فجأة.

فقالت تحثه: «منذ...؟»

فقال: «هذا غير مهم.»

وتنهدت هي، يا له من رجل متحفظ لا يطاق، سألته: «اظنك تركت منزلك منذ وقت طويل. أليس كذلك؟» وكانت بهذا السؤال، تأمل في أن تعرف شيئاً عنه.

كانت قد اعتادت ان ترى الكمد تكسو ملامح الآخرين، ولكنها لم تكن تعتقد ان ذلك كان يعني شيئاً، حتى هذه اللحظة، ذلك انه لم يكن ثمة وصف آخر للطريقة التي بدت بها ملامح رايان وهو يقول باختصار: «عشرون.» ثم تابع وكأنه ينتزع الكلمات انتزاعاً: «لقد ربتني عمتي شارلوت.»

تمتمت تسأله وهي تحاول ان تتذكر ما كانت سمعته عن زوجة هاري: «ولمك؟»

فرفع رايان رأسه مما جعل اشعة شمس الأصيل تنير

www.elromancia.com

وجهه فتبرز تقاسيمه الخشنة، ثم قال: «لقد ماتت وهي تلدني.»

ولم يكن ثمة معنى لتقول «انها آسفة.» بعد مضي كل تلك السنين، ولكنها قالتها على كل حال.

وابتسم بسخرية وهو يقول: «ليس ثمة سبب يدعوك لذلك.»

فأجابت: «كلا، ولكن لا بد ان هذا كان امراً هائلاً بالنسبة إلى أبيك، ومحزناً لك أنت...»

فأجاب: «هذا صحيح تماماً، مع أنه لا ينبغي لي الشكوى من اي اهمال لي. هل لنا ان نغير موضوع الحديث؟ ماذا بالنسبة اليك؟ يا سيدة بادينغلي؟ هل ثمة ظلال في حياتك، أنت ايضاً؟ ام انك عشت دوماً في امان ورفاه؟»

فهتفت قائلة: «رفاه؟ كلا. لقد كان أبي يملك حانوت بقالة في تاكوما مما كان يجلب الاستقرار إلى حياتنا بدرجة كافية، ولكن، كان علي وعلى شقيقي ان نساعد في الدكان في اجازات آخر الأسبوع ولم يكن علينا ان نعتبر اي شيء حقاً مسلماً به.»

لم تدرك ان صوتها قد ارتفع الا عندما رفع رايان حاجبيه قائلاً: «لا أظن انني قد اشرت الى ذلك في سؤالي، وعلى كل حال، فان عندك هنا منزلاً عصرياً جميلاً وقطع أثاث جيدة. وكذلك حديقة منسقة جيداً وتشرفين على منظر رائع للمضيق. فهذا الجو الذي يحيط بك لا يجعل للظلال سبيلاً الى حياتك.»

فقطبت جبينها، ذلك انه كاد ان يقول انها من طفيليات المجتمع لمجرد انها كدحت في حياتها بما فيه الكفاية

لكي تستطيع شراء منزل وعدة قطع من الأثاث الحسن.

وسألته: «هل كوني مطلقة يرد لي بعض الاعتبار في نظرك؟ أو ان ذلك لا يشكل ظلاً في رأيك؟»

فأجاب وقد بدا عليه الهزل اكثر مما بدا عليه من الاهتمام: «هذا يعتمد على اشياء.»

فسألته: «يعتمد على ماذا؟»

فأجاب: «على ما تشعرين انت نفسك نحو ذلك.»

أجابت بحدة: «انني اشكر حظي على كل شيء.»

وزعق الطائر: «كراك.» ثم أخذ ينقر اذنها.

وقالت تخاطبه: «اخرس يا آل، هيا، لقد حان وقت نومك.» كانت تشعر بضيق ولكن ليس من الطائر.

وقفت ثم سارت بالطائر الى قفصه الموضوع على منضدة صغيرة في احدى زوايا غرفة الجلوس.

كانت تدرك ان رايان كان يراقبها من خلال زجاج الباب اثناء ادخالها الطائر الى القفص ثم اغلاق بابه بعد ذلك، ولكن، عندما عادت الى الشرفة وتهالكت مرة اخرى على كرسيها، فوجئت بنظرة الازدراء التي رأته يوجهها اليها.

سألته قائلة: «ماذا جرى؟ هل تراني اقترفت خطأ لا يغتفر عندما اعترفت بأنني مستمتعة بحياتي؟ ام ان هناك شيئاً آخر؟ هو انني، مثلاً، لم اسقط ضحية جاذبيتك؟»

فأجاب وهو يزدرد العصير: «ألم تسقطي بعد؟ كنت اظن العكس.» ووضع كوبه الفارغ على المنضدة بعناية وهو يتابع قائلاً: «ولكنني ارتحت الآن عندما عرفت انني كنت مخطئاً. ليس لدي وقت لكي افتن المحاميات الشابات الجميلات.»

حدقت انجيلا في باقة من الورود الحمراء التي كانت

تميل مع النسائم الدافئة، ثم تمتمت تقول: «لقد لاحظت انك لا تميل الى استخدام وسامتك.» وفكرت في ما اذا كانت تبدو كطفلة تريد ان تكون لها الكلمة الأخيرة. ورأته يستعد للخروج وما زالت لا تعلم ما الذي جعله ينظر اليها نظرة ازدراء.

وقالت تسأله: «ألا تخبرني ماالذي جرى؟»

فوقف وقد عادت ملامحه الى الوجوم وهو يقول:

«لا شيء.» وسكت لحظة ثم عاد يقول: «حسناً، يا سيدة بادينغلي. الحقيقة انني لا احب الأشخاص الذين يحبسون المخلوقات الضعيفة في القفص لكي يتلهوا بها.»

فوقفت انجيلا واضعة يديها على خاصرتيها وهي تقول: «أتعني آل؟ لمعلوماتك الخاصة، يا سيد كونيسكي، اذا انا اعطيت آل حريته فسيموت، ذلك لأن جناحيه مقصوصان.»

فقال: «وتظنين ان الأمر قد صلح بقص جناحيه؟»

أجابت وهي تتمنى لو تصفع وجهه الوسيم: «كلا، فهذا لا يصلح اي شيء، على كل حال، فلست انا الذي فعلت ذلك، فقد اخذته من مأوى للحيوانات في الوقت الذي لم يشأ أحد غيري ان يأخذه.»

همهم رايان دون ان يقول شيئاً، ورأت هي انه من الكياسة بحيث ظهر عليه الندم لما قاله، ولكنها لم تستطع مقاومة العودة الى القول: «ومع ذلك، فأنا لا أرى ان الأمر يعنيك بشيء.»

أخرج من جيبه منديلاً مسح به رقبته وهو يجيب قائلاً: «ولا أنا ارى ذلك، وانني آسف.»

قالت باستياء: «لا بأس وانما لا تعد الى ذلك مرة اخرى.»

لوى بفمه جانباً، وهو يجيب: «ليس ثمة خوف من ذلك.»

فسألته غير مقتنعة: «ماذا تعني؟»

هز كتفيه قائلاً: «لأنني نادراً ما اقع في نفس الغلطة مرتين.»

وعندما استدار مبتعداً عنها متجهاً نحو باب المنزل، امسكت هي بكمه تعيقه عن التقدم وهي تقول: «انتظر. ماذا تعني بذلك؟ اي غلطة تعني؟»

وقف رايان ينظر الى اليد التي امسكت بكم الجاكتة، وعندما رفع عينيه بعد لحظة، تساءلت هي عما اذا كان يهتم بها بنفس الدقة التي تهتم هي به.

وببطء شديد وضع يده على يدها لمدة طويلة. ثم، وبنفس البطء، فك اصابعها، ثم تحرك مبتعداً.

أجاب وهو يتابع طريقه نحو الباب: «انت.» فحملقت فيه بغضب، ثم نظرت حولها علها تجد شيئاً تقذفه به، وما لبثت ان تذكرت انها اكبر وأعقل من ان تفعل ذلك. فصرخت به: «أنا؟ هل تعتبرني غلطة؟»

أجابها وهو ينظر اليها من فوق كتفه: «انني لا اعتبرك شيئاً. ومع ذلك فأنا اتوقع انه سيكون بامكانك أن تصبحي احدى غلطاتي الرئيسية، وذلك هو السبب في نصيحتي لك بأنك اذا كنت تريدين مصلحتك، فابقي بعيدة عن طريقي تماماً. الوداع وشكراً لضيافتك.»

صرخت انجيلا في أثره: «لا يمكنك ان تتركني بهذا الشكل، ثم كيف تجرؤ على اتهامي بأنني اعترض طريقك؟ انني لم ادعك الى منزلي، بل انت جئت بكامل ارادتك. ولا

اريد منك ان تزعج نفسك بالقدوم مرة اخرى.» كان هو قد اختفى فهرعت خلفه.

وقف رايان في منتصف الممر المرصوف بالحصى وهو يواجهها قائلاً: «بل يمكنني ان اتركك بهذا الشكل، وعلي ان افعل ذلك. انما معك حق. فأنا جئت اليك دون دعوة منك، وأنا اعدك بأنني لن افعل ذلك مرة اخرى، هل هذا يكفي؟»

فأجابت: «يكفي لأي شيء؟»

أجاب: «يكفي للاعتذار.»

قالت متذمرة: «انه عذر بطبيعة الحال، اليس كذلك؟» وعادت تدخل البيت، صافقة الباب خلفها بعنف ليزيد من توتر اعصابها دون ان يرد اليها مرحها المعتاد.

تمتمت تحدث الطائر الصغير وهي تخرجه من قفصه:

«لا شك ان رايان كونيسكي هو اكثر الاشخاص الذين عرفتهم خشونة... ومع ذلك، فهناك شيء ما حوله... اذ خلف مظهره الرائع والخشن ذاك، يوجد انسان يحاول الخروج إلى العلن.»

وأجاب آل بصوت مليء بالأمل وهو يميل برأسه جانباً: «كراك.»

أخذت تمر بيدها على ريشه قائلة: «اعلم ذلك. فقد كان متعاطفاً معك، أليس كذلك؟ هذا عجيب لا ادري السبب في رهافة حسه تلك.»

وعندما فضل آل عدم الاجابة، استمرت تقول مفكرة: «ثم انه تدخل لأجل روبين دون سبب يدفعه لذلك... على كل حال، هذا لا يهم...»

وعندما رفعت انجيلا الطبق الذي كان يحوي ثمار الفريز، ارغمت نفسها على ان تتذكر ان رايان كان قد سبق وأكد لها انه لن يعود، ومن ثم، فلم يكن هناك سبب يجعله يأتي اليها في منزلها هذا ليحطم استقرارها النفسي، وعندما يتماثل والده للشفاء، فهو سيعود إلى مدينة ستيل حيث عمله. وبهذا لا يكون ثمة اهمية لكونه جذاباً الى هذا الحد.

ألقت بالطبق في حوض الغسيل، وقضمت اربع قطع من الشيكولاته كانت تدخرها الى الغد، وهي تتساءل لمَ لم تبعث فيها فكرة فراق رايان الشعور الذي ينبغي بالارتياح؟!

بعد ذلك بثلاثة ايام، ابلغها روبين بعودة هاري كونيسكي الى منزله ورغبته في العودة الى العمل.

قالت انجيلا: «آه، ان ذلك يعني ان رايان سيرحل.»

فأجاب روبين: «نعم غداً صباحاً.»

قلبت شفتها وقالت وهي تسوي من تنورتها: «ما أحسن هذا.»

عندما رفع روبين ناظريه نحوها متعجباً، تذكرت انها يجب ان تتصرف كامرأة عاملة رصينة، فأخذت تتشاغل بالتفتيش عن ملف.

وفي المساء التالي، بعد العشاء، حملت مجموعة من القصص البوليسية كانت قد اختارتها لعلمها بأن هاري يحب هذا النوع من القصص، ومن ثم توجهت الى زيارته.

ظهر المنزل المؤلف من طابقين، والمبني بالقرميد والقائم في اطول شارع في كاليه كوف، وبدا خالياً لعيني انجيلا حين وصلت اليه. فقد كانت الستائر نصف مسدلة، كما كانت سيارة هاري البيضاء ستيش واغون غير

موجودة في الكاراج المفتوح. ولكنها، على كل حال، تسلقت السلم ثم قرعت الباب.

لكن احداً لم يجب، وهذا مالم تستغربه، وهكذا نظرت حولها تبحث عن مكان تترك فيه الكتب. إذ ان الدرجات لم تكن تصلح لذلك. وكان هناك صبي ملطخ الوجه بالمربى يحدق فيها من فوق حاجز السلم.

أدركت ان الفضول سيدفعه الى اتلاف الكتب اذا هي تركتها حيث يمكنه الوصول اليها.

وتمتمت: «لا أمل.»

أجابها صوت من ورائها: «ما هو الذي لا أمل فيه.»

قفزت انجيلا من مكانها فسقطت من بين يديها روايتين على الأرض.

قال الصوت عندما انحنت بطريقة آلية تلتقط الكتب: «دعيني أقوم بذلك.» وفي اللحظة التالية، كانت ذراع قوية تمتد من فوق كتفها تزيح الكتب عن ناظريها.

اعتدلت انجيلا واقفة بسرعة، فهي لم تكن مخطئة بمعرفة صاحب هذا الصوت.

وعندما استدارت، وجدت نفسها تقف في مواجهة رايان كونيسكي وجهاً لوجه حتى انها شعرت بانفاسه الدافئة تلفح وجهها.

الفصل الثالث

تمتمت أنجيلا وقد تجمدت في مكانها: «رايان، ما الذي...؟ أعني أنك لست هنا... انك في سيتل.»

تألقت عيناه المغناطيسيتان وهو يقول هازئاً: «أؤكد لك أنني لست سراباً. بل إنني أنا حقاً بلحمي ودمي.»

لم تكن بحاجة إليه ليخبرها بذلك. فقد سبب لها تأثير ذلك اللحم والدم، الوهن في ساقيها، وجعل ذهنها ينسى كل شيء ما عدا ذلك العذاب المبرح من الشوق إليه عارضة، بذلك على الجيران مشهداً يمكنهم من التحدث عنه لسنوات، ولكنها رغم أنها لم تستطع الابتعاد عنه، فقد نجحت في إبقاء يديها متصلبتين بجانبيها.

قالت: «إنني لم اسمع صوت هدير سيارتك.» وكأن ذلك لم يكن واضحاً بقدر اللون الذي صبغ وجنتيها. ذلك أنها كانت من الاستغراق في العثور على مكان تضع فيه الكتب بحيث لم تسمع صوت وقوف السيارة.

وهتف به الصبي ذو الوجه الملطخ بالمربي: «ريني. أريد أن ألعب معك.»

كان رايان يحدق فيها رافعاً حاجبيه، فلما سمع الصبي، لوح له بيده بمودة وهو يهز رأسه قائلاً: «ليس الآن، يا بيلي، ما قولك في صباح الغد؟»

ضرب بيلي الحاجز بيده، ثم قال بامتعاض: «هذا حسن.»

وعادت عينا رايان تلتقيان بعيني انجيلا مرة أخرى ثم سألها: «انك لا تضعين اليوم تلك النظارات المسببة للكبت. هل هذا يعني ان ليس بإمكانك ان تريني؟»

أجابت: «طبعاً بإمكاني رؤيتك. فأنا استعمل النظارات اثناء العمل فقط.» وشعرت بالاستياء لوصفه لنظاراتها بأنها تسبب الكبت.

وقال ببطء: «فهمت. إذن، فإن جفاء وعدم رقة المحامية ما هو إلا تنكر، في الواقع لقد ظننت ذلك. أتحبين ان تدخلي؟»

لم توحي لهجته أنه يريدها أن تدخل، وكانت أنجيلا على وشك ان ترفض، لولا انها غيرت رأيها فأجابت: «نعم. شكراً لك.»

أشار إليها بأن تتقدمه في الدخول.

كان رايان يحدق فيها رافعاً حاجبيه. تنفست بعمق ثم تقدمت داخلة إلى المنزل.

قالت له: «ان الجو حار في الخارج.» بينما كان رايان يقودها نحو غرفة جلوس ذات جدران صفراء لامعة ومجموعة مدهشة من الأثاث تبدو وكأنها وضعت لتعرض في حانوت لبيع الأثاث القديم. لقد كان منزل كونيسكي من الداخل منبعاً لحيرة لا تنتهي بالنسبة إلى انجيلا، لم يكن بإمكان هاري ان يقيم مزاداً علنياً كما ان شارلوت اعترفت بوجه مشرق تماماً، بأن ليس في امكانها القاء اي شيء قديم خارجاً.

أجاب رايان وهو ينظر إليها تتخطى مجموعتين من النمور المحشوة ومنافيخ الحدادة قائلاً: «نعم. ان الجو

شديد الحرارة في الواقع، ولكنك لم تتكلفي عناء الطريق إلى هنا لتخبريني بذلك.»

أجابت: «كلا. وإنما جئت لأطمئن إلى صحة أبيك، وأحضر له بعض الكتب. كنت اظنك رجعت إلى سيتل.»

أجاب: «هذا ما سبق وقلته. ولكنني لم أذهب، وهذا ما ستسر له السيدة رينبو مديرة منزلي المشغولة حالياً بالتنظيف الصيفي لشقتي.»

جلست انجيلا وهي تجيب: «هكذا إذن.» وتساءلت عما جعلها تدخل إلى هنا. فقد كان هاري في الخارج. وفي آخر مرة رأت فيها رايان، أخبرها بكل وضوح انه لا يريد ان يتقابلا مرة أخرى. عادت فوقفت وهي تقول بسرعة: «حسناً، مادام هاري ليس هنا...»

ولدهشتها، ابتسم رايان وهو يقول: «انه لا يطيق البقاء دون عمل. وقد أزعج عمتي المسكينة إلى حد قبلت معه أن تأخذه في نزهة بالسيارة. إنه مقتنع بأن هناك اشياء قد فاتته في الأيام الأخيرة التي لم يطف فيها في نواحي المدينة.» وتنهد بعمق وهو يتابع: «لو لم يكن مدمناً على الأحاديث المطولة عن آخر الشائعات والفضائح لكنت أخذت روبين إلى طبيب الأسنان بدلاً من ذهابه معهما في هذه الجولة.»

وارتسمت على وجه انجيلا ابتسامة عريضة بعد ان شعرت بالارتياح إذ تسمع أن هاري قد اصبح صحيحاً معافى، وعاد يزرع شوارع كاليه كوف بحثاً عن آخر الفضائح.

قالت تلوم رايان قائلة: «انك تدهشني إذ ترفض فرصة مثل تلك.»

سألها مقطباً جبينه: «مثل ماذا؟»

فابتسمت تجيبه: «الفرصة التي تربط بين الأب وابنه.» كانت تأمل ان تحثه بهذه الملاحظة، على إلقاء بعض الضوء على سبب غيابه الطويل الغامض عن مدينة كاليه كوف.

ولكن ذلك لم يحدث لأنه هز رأسه وألقى بنفسه على أريكة جلدية حمراء وهو يقول: «اتعنين التعاون بين الأب والابن؟ ان أبي يجد بدوني متعة أكبر. ذلك أن الشائعات تخمد بوجودي.»

تأوهت انجيلا وتساءلت عما إذا كان الحظ قد واتاها الآن لتعرف طبيعة الشائعات تلك دون ان تسيء إلى هاري. وتابعت تقول: «اظنني سبق وسمعت انك قد صادفت بعض المتاعب...»

قاطعها قائلاً بخشونة جعلتها تجفل: «نعم، لا بد انك سمعت. والآن اظنك تريدين سماع المزيد.»

فأجابت: «كلا. طبعاً لا.»

كانت تريد أن تعلم المزيد عن هذا الرجل الغامض الذي هز كيانها واستقرارها النفسي. كل ذلك جعلها تتوقف لتسأله بسرعة: «لماذا حدث هذا؟ لماذا عشت بعيداً طوال تلك المدة؟»

ظنت للحظة أنه يرفض الإجابة، هذا إلى أن عينيه كانتا جامدتين وشفتاه مطبقتين كما ان فكه نكرها بالصخرة. ولكنه أخيراً قال دون أن يغير من خشونة صوته: «إننا، أنا وأبي، لا يمكن أن نتفق، فقد تسببت له بقدر كبير من الحزن وهذا ما لم تغفره لي مدينة كاليه كوف. فهذه المدينة لها ذاكرة قوية، يا سيدة بادينغلي. فهل أرضى هذا فضولك؟»

أجابت بصوت مضطرب: «قل انجيلا. ان اسمي هو انجيلا.» ولكن، كلا... فما قاله لم يكن يكفي لإرضاء فضولها، وإنما امكنها ان ترى ان رايان لم يكن في الحقيقة غير مبالٍ كما اراد ان يبدو، ذلك ان الأوردة في رقبته وساعديه قد نفرت متوترة.

جلست وهي تكرر: «ادعني انجيلا وليس السيدة بادينغلي، من فضلك.»

وأخذت تحدق في صورة على الجدار يابانية الصنع، إلى ان سمعت اخيراً، صوت رايان يقول بنبرة بدت كما لو كان يضحك: «انجيلا؟ إنه اسم جميل. هل أنت تسهرين على راحة المتعبين؟»

فأجابت: «ليس دائماً.»

كانت ضحكته هذه المرة واضحة وهو يقول: «لا أظن ذلك.»

فسألته قائلة وهي مازالت تحدق في الصورة اليابانية: «هل انت بحاجة إلى من يسهر عليك؟» وعندما لم يجب، اندفعت تقول: «وما الذي يجعل مدينة كاليه كوف تهتم بعدم اتفاقك مع أبيك؟ ان هذا ليس من شأن أحد.»

قال: «يا عزيزتي انجيلا. لقد عشت أنت هنا قرابة الاحدى عشرة سنة. ولا بد أنك في تلك المدة قد عرفت ما يكفيك عناء إلقاء اسئلة كهذه.»

فتوجهت إليه تبتسم في وجهه وهي تقول: «لقد عنيت في الحقيقة أن هذا ليس من شأني، وأنا آسفة لسؤالي هذا.»

فقال: «ليس بك حاجة لذلك. فأنا ما كنت لأجيبك إلا إذا أنا شئت ذلك.» وأخذ يتأمل شعرها بإعجاب وهو يتابع قائلاً:

www.elromancia.com

«ان لك شعراً رائع الجمال، يا انجيلا، هل تعرفين هذا؟ يبدو ناعماً كالحرير.»

فقالت: «إنني...» وازدردت ريقها غير قادرة على استجماع افكارها. فهذه هي أول مجاملة يوجهها إليها، مما جعلها تشعر بالارتباك كفتاة صغيرة خجول، وهذا شعور فارقها منذ سنوات لا تعرف عددها.

قال وكأنه أدرك ارتباكها: «لا بأس في ذلك، فليس كلامي هذا مقدمة لأي شيء، وإنما هو مجرد محاولة لتجنب التفسير.»

قالت: «انك لست مديناً لي بأيّ تفسير. فقد ألقيت أنا سؤالاً وأجبت أنت عليه، وهذا كل شيء.»

فقال: «ولكنني لم اجب عليه بشكل كامل.»

قطبت أنجيلا جبينها. وقالت: «آه، ألم يكن ذلك صحيحاً... إذن كونك...»

فقاطعها: «كوني لا أتفق مع أبي؟ نعم، هذا صحيح تماماً. فقد ابقاني هذا الأمر بعيداً عن كاليه كوف عشرين عاماً.»

قالت: «ولكنك قد ضخمت من الأمور.» وتساءلت في أعماقها عما يمكن ان يكون قد حدث بينه وبين أبيه لتصل الأمور بينهما إلى هذا الحد من الخلاف. وهي نفسها لا ترى والديها وأختها سوى مرة في الشهر أو نحو ذلك، ولكنها لا تستطيع ان تتصور أن لا تراهم ابداً.

قال: «نعم. في سن الثامنة والثلاثين الناضج، أدركت أن الكبرياء لا يمكن أن تكون بديلاً عن الأسرة.»

فسألته: «اتعني أن الذنب كان ذنبك في ما حدث؟»

أجاب: «من المؤكد أنه لم يكن ذنب أحد غيري.»

بدا عليه العبوس وهو ساهم يفكر، ما جعلها تجفل متراجعة، ولكنها ما لبثت ان نفت من ذهنها شعوراً مفاجئاً بالخطر، وتقدمت تضع يدها على ذراعه وشعرت بعضلاته تتكمش وكأنها مستها بعود ثقاب مشتعل، بينما كانت تقول: «انني مسرورة لبذلك جهداً في اصلاح الأمور. فإن اباك يعز عليّ.»

أجاب: «وكذلك أنا.» وتابع قائلاً: «وأنا، كذلك، اريد ان اصل معك إلى نهاية مفهومة.»

أثارها أن ترى عبوسه يستحيل إلى ابتسامة بالغة الجاذبية وهو يسألها بلطف: «اتخافين مني؟ لا بد أنني مخطىء إذن، إذ كنت اظنك من نوع النساء اللاتي يحببن اللعب بالنار.»

أجابت: «إنني من نوع النساء اللاتي يكرهن الرجال المتغطرسين الخشنين عديمي اللباقة.»

شعرت بالذعر وهي تراه يضحك قائلاً: «أحقاً أنت كذلك؟ في هذه الحالة، هناك أمر أو أمران اريدك أن تعرفيهما عني...»

ولسبب لم تفهمه، لم تعد انجيلا تشعر بالسخط، بل بالخوف فأجابته قائلة: «ليس هناك شيء أريد أن أعرفه عنك. يجب أن أذهب الآن.»

تحركت لتنهض، ولكن رايان وقف قبالتها ليمنعها من ذلك وهو يقول بإصرار: «لن تذهبي إلى أي مكان.»

فسألته: «ولكن، لماذا؟»

أجاب: «لأنك اسقطت جاكتتك في طريقي، وقد صممت أنا

على أن الوقت قد حان لك لكي تعلمي انني ألعب فقط واضعاً كل أوراقي مكشوفة.»

فقالت وهي تتململ بضيق تحت ثقل يده: «ماذا تعني؟»

فهز كتفيه وهو يجيب: «نحن الاثنين نعلم أن ثمة تفاهماً بيننا. وأنا اعترف أنني كنت أقاوم هذا. فهذا قد بدا لي أكثر حكمة وربما اكثر رقة. ولكننا نحن الاثنين راشدان وما دمت تعرفين بالضبط أين تضعين قدميك...»

قاطعته قائلة: «انني أضع بقدمي هنا.»

وصرخت وهي تتلوّى لتخلّص يدها من قبضته، متابعة قولها: «ويمكنك متابعة المقاومة، فأنا لا أريد اوراقك يا رايان كونيكسي.»

أجاب: «ألا تريدين؟ أظنك محقة في ذلك.» وألقى عليها بنظرة كانت من الهدوء والغموض بحيث لم تر مثلها منه قط من قبل. وتابع قائلاً: «ما الذي تخافين منه، يا انجيلا؟»

فأجابت: «إنني لست خائفة من شيء.»

قال: «يا لك من فتاة محظوظة. أما أنا فأخاف من أشياء كثيرة.»

ردت عليه بحدة: «هذه مشكلتك.» ثم أضافت بلهجة أكثر رقة لأنه كان يبتسم، مرة أخرى ابتسامته البطيئة التي لا يمكن مقاومتها: «انني لا أحب العناكب.»

اتسعت ابتسامته وهو يقول: «انني أعدك بان لا اغزل لك شباكاً. هل هذا ما يخيفك؟ احتمال أن تقعي في الشرك؟»

قالت تسأله: «أقع في الشرك؟»

فأجاب: «ربما شرك الزواج. وفي هذه الحالة فلا شيء يحملك على الخوف مني. أم أن الأمر لا يعدو استمتاعك

بالمطاردة ثم لا تعرفين بعدها، ما عليك أن تفعلي إذا ما الفريسة وقعت؟»

قالت: «لا تكن سخيفاً. إنني لم أعد أهتم بالمطاردة، ولهذا فلا أرى اي خطر من أن اقع في فخ الزواج. فهو لا يهمني بشيء.»

قال: «لقد قيل لي إن الطلاق يحدث مثل هذا التأثير.»

قالت: «من المفروض ان يحدث هذا.» وعجبت في نفسها مما دعاها إلى الرجوع والجلوس مرة ثانية.

ولم يقل رايان شيئاً بعد ذلك، ولكن عينيه الرماديتين الداكنتين كانتا تشعان. وشعرت بأنها تريد، دون اي سبب واضح، أن تخبره عن آلام ذلك الجرح القديم. ولم يكن السبب أنه بدا عليه الاهتمام بذلك ولكن كان في الطريقة التي أخذ ينظر بها إليها، ما جعلها تريده أن يفهم ماذا حدث.

قالت فجأة: «لم يستمر زواجي من كلفين طويلاً.»

تساءل: «كلا؟»

لم تكن لهجته خالية من العطف، وهذا جعلها تسرع قائلة: «كلا. لقد تقابلنا عندما كنا نحن الاثنين طالبين. وكان هو أيضاً يدرس الحقوق مثلي، ولكنه كان يسبقني بعامين. وكنت أنا متفانية في حبه شديدة الرغبة في ارضائه، وكانت النتيجة أنه اعتبرني فتاة حلوة مطيعة لا تعرف الاعتراض على شيء. وهكذا بطبيعة الحال، عندما تخرّج توقع مني أن أترك الجامعة ثم أنتقل معه إلى حيث تأخذه وظيفته.» وتنهدت ثم تابعت تقول: «إنه لم يظن أن مهنتي كانت مهمة بالنسبة إليّ ولهذا لم يكن يهمه سواء أكملت دراستي أم لا.»

قال رايان: «ولكن هذا ليس امراً مهماً. أما كان باستطاعتكما تسوية الأمر؟»

فأجابت: «لم يكن كلفين ليهتم بذلك.»

قال: «وهكذا طلقته.»

فأجابت: «كلا. لقد حاولت الوصول إلى تسوية ولكنه لم يهتم بذلك. لقد أراد اذعاناً تاماً مني. وكنت في ذلك الحين من حداثة السن، وصغر العقل ما جعلني أفكر في الاذعان له... إلى ان جاء إلى المنزل ذات ليلة، وأخبرني أنني لست من النوع الذي يرغبه كزوجة والتي كانت مهمتها في نظره أن تضع كل طاقاتها في سبيل نجاحه في مهنته هو وتنسى نفسها.»

فقال رايان: «وهل اقنعك هذا بأن تطلقيه؟»

هزت رأسها نفياً وهي تحدق في علامة داكنة على السجادة وتتابع قائلة: «كلا. ولكنه أحضر معه صديقة ذات مساء. كانت فتاة سمراء صغيرة وقحة تدعى سيسيليا. وأظنه كان قد انتهى الى انها تناسبه اكثر مني. لقد كان كلفين هو الذي طلقني في النهاية.»

فقال: «مسكينة انجيلا. المرأة المحتقرة.»

فقطبت جبينها وقد ادهشتها ان تشعر بالألم من عدم احترامه لها ذاك، وقالت: «انني لست محتقرة مطلقاً بل على العكس، شعرت بالارتياح التام. ما كان لي أبداً ان اتزوجه.»

وتذكرت بكآبة ان ذلك غير صحيح، فهي لم تشعر ذلك الحين بالارتياح. فقد تحطم قلبها وشعرت بالتعاسة البالغة وقد مر وقت طويل قبل ان تتكيف مع فشل زواجها، وامكانية

عدم انشائها الأسرة التي كانت تحلم بها، والتي كانت ترجو أن تكون مكوّنة من فتاتين وولد...

كان رايان يراقبها وكأنه كان يتكهن بما كانت تفكر فيه.

أخيراً قال: «وهكذا افترقتما بمودة.» وأومأ برأسه بحكمة قائلاً: «فهمت.»

فأجابت: «نوعاً ما.»

فكرت متهكمة في تلك المودة التي افترقا بها، وهي تراقب ملامح وجهه القوية بينما هو مغمض عينيه ملقياً برأسه إلى الخلف على مسند الأريكة. لقد كانت مسرورة طبعاً من الانتهاء بالطلاق، ولكنها لم تكن تحب أن ترغم على الاعتراف بالهزيمة، ثم أنها كانت قد تزوجت كلفين يحدوها إلى ذلك حب قوي وأمل واسع. ونهاية الأمل كان أيضاً يعني بالنسبة إليها، نهاية الاعتقاد الساذج بالسعادة في المستقبل. وبعد كلفين عندما لم يبق ثمة معنى للتطلع إلى مزيد من الأحزان، تخلت عن أي توقعات للمستقبل.

وتمتمت تحدث نفسها بصوت مرتفع: «انجيلا، انك خارج عقلك.»

عندما فتح هو عينيه بحدة ليركزها عليها بشكل مفاجيء، ادركت ان عادتها بالتحدث إلى نفسها قد ابتدأت تخرج عن طوعها. وكانت هذه نتيجة وحدتها الطويلة.

قفزت واقفة مرة اخرى وهي تقول: «عليّ ان اذهب.»

فوقف هو أيضاً قائلاً: «حقاً؟ ولمَ العجلة؟ فأنا لم أقدم إليك أي شيء بموجب الضيافة؟»

أجابت: «لا أريد شيئاً.»

وقف ينظر إليها، وقد تصلبت قامته الطويلة بشكل غير

طبيعي وقال أخيراً: «إنني اتساءل عما تريدينه يا انجيلا.»

أجابت بسرعة: «ليس أنت.» ذلك أن النظرة في عينيه كان يملأها التحفز للانقضاض. وتابعت تقول: «انك لم تفتح اوراقك. أتذكر؟»

أجاب: «ذلك لأنك لم تسمحي لي، كما أنني على كل حال لست متأكداً من أهمية ذلك.»

قالت تسأله: «ماذا تعني؟» وحاولت ان تبتعد ولكن يبدو أن قدميها قد التصقتا بتلك السجادة الشرقية.

أجاب: «لأنني ابتدأت أدرك اننا، نحن الاثنين متشابهان، اظنك تماثليننني اكثر مما كنت اظن.»

هتفت: «ماذا...» وسكتت وقد اخرستها النظرة التي بدت في عينيه.

فجأة تصلب جسده ورفعت هي وجهها إليه تسأله بدهشة: «ماذا حدث؟»

فأجاب: «هم. م. م... أنصتي.»

انصتت انجيلا، وسمعت صفق باب، ثم صوت شارلوت كونيسكي يقول بلطف: «لا بأس يا هاري، انني متأكدة من أنه سيكون هنالك الكثير في المدينة الأسبوع القادم. ذلك أن كل شخص الآن يتأهب لعطلة نهاية الأسبوع.»

تمتم رايان في أذنها: «هل رأيت ماذا أعني؟ لم يستطع أبي أن يجمع أية شائعة تستحق هذا الاسم. ولهذا اقنعته عمتي شارلوت بالعودة إلى البيت. والآن ستضعه على الأريكة وتغطيه، ثم تضع له ميزان الحرارة ثم كمادات رطبة، وبعد ذلك شراباً بارداً.»

قالت: «نعم، ولكن...» وفجأة، انتبهت انجيلا إلى أنها

تقف قريباً جداً من رايان. وفي أي لحظة الآن، ستصبح سمعتها وما عرفت به من لباقة وتهذيب وتعقل كامرأة عاملة، في خبر كان، وهمست: «رايان، انهم قادمون إلى هنا...»

فهمهم يوافقها على كلامها قائلاً: «نعم ها هم. مرحباً يا أبي، روبين، عمتي شارلوت. هل استمتعتم بالنزهة؟»

www.elromancia.com

الفصل الرابع

ارتفع حاجبا هاري كونيسكي الاشعثان وهو يزمجر، بينما ردت العمة شارلوت بصراحة: «نعم يا عزيزي. لقد استمتعنا بنزهتنا تماماً. ثم احضرنا روبين معنا.»

ابتسم لها رايان قائلاً: «اظنني رأيته.» وأشار إلى انجيلا وادارها لتواجههم، ثم تابع قائلاً: «لقد جاءت لزيارتكما اثناء وجودكما في الخارج، لكنني استطعت ان اكرم وفادتها كما ترين.»

وبينما اصبح وجه انجيلا، الذي تضرج احمراراً، ابعد ما يكون عن وجه امرأة عاملة، اطلق روبين ضحكة عالية، كما قال هاري بضيق: «لقد حان الوقت لكي تهذب من سلوكك، يا بني.»

كتمت انجيلا آهة، عجب. فهي لم تعرف ما اذا كان عليها ان ترفس رايان لاغاظته لها بهذا الشكل، ام تنفجر ضاحكة لفكرة ان اي شخص، ولو كان اباه، يمكن ان يدعو مثل هذا الرجل القوي المسيطر البالغ من العمر الثامنة والثلاثين، يا بني.

وأخيراً، تمتمت: «ما أحسن ان اراك بصحة جيدة مرة اخرى، يا هاري. لقد جئت لأحضر لك بعض الكتب.» ولم يكن ثمة شيء آخر يمكنها قوله.

قال هاري: «اشكرك.» ورفع حاجبيه وهو يتابع قائلاً: «لم اعلم انك تعرفين ابني جيداً.»

فقال رايان ببساطة: «لم تكن تعرفني قبل أن يذهب روبين للعمل عندها.» ثم اضاف بلهجة مختلفة تماماً: «ولكنني افترض انك ربما قلت انها ما زالت لا تعرفني.»

فقالت شارلوت: «حسناً، هذا جميل جداً، يا عزيزتي انجيلا، ارى ان ابن اخي لم يصنع لك الشاي...»

وجاءهم صوت ساخر من عند الباب حيث كان روبين مستنداً الى الجدار وابتسامة عريضة تكسو وجهه المبقع بالنمش، وهو يقول: «شاي؟ هه... لقد كان مشغولاً جداً عن ذلك مع...»

ولكن روبين لم يكمل جملته قط، اذ رد عليه رايان بصوته القوي المسيطر: «هذا يكفي. شكراً يا روبين. انجيلا، اظنك كنت على وشك الخروج.»

فاعترضت شارلوت وهي تقول مستنكرة وهي تربت على شعرها المكوم فوق رقبتها من الخلف: «والآن، يا رايان، كن لطيفاً ودع انجيلا تقرر بنفسها...»

فقاطعها رايان قائلاً: «لقد سبق وقررت، اليس كذلك يا انجيلا؟ هيا بنا، سأوصلك إلى حيث سيارتك.»

فكرت انجيلا في أن تقول له انها قادرة تماماً على اجابة دعوة عمته دون تدخل منه، وانها، في الواقع، بشوق الى كوب من الشاي. ولكن الحقيقة هي انها كانت في لهفة لأن تترك منزل كونيسكي بقدر ما كان هو في لهفة لرحيلها. كان من الصعب عليها ان تحتفظ ولو بقدر من مظهر الرصانة الذين تعودته وهي بين روبين وتعليقاته الفكاهية، وبين شكوك هاري، وبينهما شارلوت يشرق وجهها بالابتسام لهذا السباق بين الرجلين، أما بالنسبة إلى رايان، فقد كان لا يحتمل.

قالت له ببرود: «اشكرك، يمكنني ان اخرج بمفردي، انني مسرورة يا هاري، بتحسن صحتك. وأنت يا شارلوت سأوافيك لتناول الشاي في وقت آخر...»

فقال رايان ساخراً: «اتعنين عندما لا يكون ثمة خوف؟» واتجه بها نحو الباب متجاهلاً رفضها.

وعلى السلم، استدارت تنظر اليه، وكان الشفق يغطي السماء ويلقي بلونه الوردي على ملامحه.

وسألته: «هل كان عليك ان تجعلنا في وضع حرج؟ انهم سيظنون الآن... اعني لو كنت وقفت بعيداً عني في اللحظة التي سمعتهم بها يدخلون المنزل...»

فقاطعها: «ليجدونا واقفين الواحد قبالة الآخر كطفلين فوجئا وهما يلعبان ممثلين دور الطبيب والمريض؟ ولماذا علي ان افعل ذلك؟»

فأجابت: «لأن هذه هي تصرفات الرجال المهذبين.»

سألها: «ومن هو الذي وضع في ذهنك انني رجل مهذب؟»

أجابت وهي تتملص منه لتسير في الطريق المرصوف بالحصى: «انها غلطتي.»

قال موافقاً: «نعم، هو ذاك.» وكانت هي تسرع الخطى نحو سيارتها البويك الجديدة الفضية. ولكن، عندما فتحت بابها وقد سيطر عليها فجأة شعور بالرغبة بالهرب، اذا بيد رايان تستقر على كتفها بخفة، وهو يقول: «تعالي معي إلى سيتل.» وكانت كلماته الرقيقة اقرب إلى الأمر منها إلى الالتماس.

استدارت تواجهه وهي تقول بهدوء: «لا يمكنني

ذلك. متى سترحل؟ لقد قال روبين انك سترحل اليوم؟»

أجاب: «ان روبين لا يستمع دوماً إلى الحديث بشكل جيد. لقد قلت انني اود لو كنت سافرت منذ اسبوع.»

فقالت: «متى سترحل اذن؟»

أجاب: «حالما تستقر صحة أبي، ربما في نهاية هذا الأسبوع.»

قالت انجيلا وهي تحدق في يدها التي كانت تقبض على عجلة القيادة بشدة: «لماذا اقتربت مني بذلك الشكل؟»

أجاب: «لأن هذه كانت رغبتي، ورغبتك أنت، أيضاً.»

فقالت: «كلا، هذه ليست...» وسكتت لأن ما قاله كان صحيحاً. لقد كانت تريد ذلك منذ البداية، منذ اسابيع حين وقفت قرب نافذة مكتبها تنظر اليه وهو يعبر الشارع نحوها. وعادت فاعترفت قائلة: «نعم، معك حق، والآن هذا هو كل شيء.»

فقال: «أحقاً؟»

أجابت: «طبعاً.»

تابع قائلاً: «لا ارى سبباً لذلك، تعالي عندما ارحل، يا انجيلا. ان مديرة منزلي ستذهب في اجازة آخر الأسبوع، وشقتي تحوي كل اسباب الراحة.»

فقالت: «انني متأكدة من ذلك. ولكن عندي مكتب علي ان اديره.»

قال: «يوم السبت؟ لا أظنك تعملين اثناء العطلة الأسبوعية، اليس كذلك؟»

أجابت: «أحياناً.»

فقال باصرار ضايقها: «ولكنك لن تعملي اثناء العطلة التالية. أليس كذلك؟»

فأجابت: «كلا. ولكن لماذا علي ان اذهب معك، يا رايان؟ اعني...»

فأجاب: «السبب واضح.»

قالت: «هل الأمر بهذه البساطة، تعالي معي؟ هل هذا هو قولك؟»

فقال: «حسناً، ما الذي يدور في ذهنك؟»

سألته بجمود: «هل هذه هي اوراقك التي اردت ان تضعها مكشوفة؟»

أجاب: «كلا، تلك كانت اوراقاً مختلفة، كانت من النوع الذي اتعامل به مع اية امرأة تريد اكثر مما أنا مستعد لاعطائها. ولكنك لست كذلك، فنحن الاثنين متماثلان، ورغباتك هي نفس رغباتي لا أكثر ولا أقل.»

قالت: «لا أدري ما هي رغباتك.»

أجاب: «انني رجل، يا انجيلا، وأنت امرأة، امرأة ذكية بوجه خاص. ولا أظنك تريدينني ان ارسم الأشياء لك لكي تفهميها.»

كلا، انها ليست بحاجة إلى أن يرسم لها الأشياء، ورايان الذي سبق واعتبرها امرأة مطلقة تعسة تبحث عن بديل لشريك حياتها، رايان هذا قد اكتشف الآن انها تشعر ازاء وضعها كعازبة كما يشعر هو بالضبط نحو وضعه. وهذا، من وجهة نظره، قد ادى به الى التفكير في قضاء اجازة آخر الأسبوع معها في سيتل. وفكرت ساخرة في أن هذا ايضاً سيكون قريباً من مقر عمله.

القت إليه بالجواب الحازم: «كلا.»

رفع حاجبيه يسألها: «كلا؟»

قالت: «كلا، ان فكرة قضاء العطلة الأسبوعية معك لا تهمني، يمكنك ان تبحث عن امرأة أخرى.»

هز كتفيه واجاب دون استياء واضح: «يمكنني ذلك اذا شئت، ولكن لي في النساء ذوقاً خاصاً، يا انجيلا. واظنك تناسبينني جيداً.»

أجابت: «ولكنك، لسوء الحظ، لا تناسبني.»

قال: «انك لن تدركي ذلك الآن.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة اخبرتها انه لا يهتم بذلك كثيراً.

فقالت بحدة: «تلك هي مشكلتي.»

بينما كانت تبحث في حقيبتها عن المفاتيح. تمتم قائلاً: «ليلة سعيدة، يا انجيلا، اتمنى لك احلاماً سعيدة.» وقبل ان تتمالك نفسها، كان قد اولاها ظهره ومضى.

في داخل المنزل، ادار شخص ما النور، وسقط الضوء على رأس رايان وكتفيه، ما بدا لها، للحظة، وكأنه بطل خرافي قد نهض من أعماق الظلام ليحيي آمالاً ضائعة لامرأة تملكتها بهجة مخيفة، ما عدا فارقاً هو انها الآن محامية في الخامسة والثلاثين، وليست آنسة مليئة بالآمال، وهزت رأسها وهي تذكر نفسها بذلك.

عندما اصبح في الداخل، لم يتوجه نحو الأسرة التي كانت تنتظر في غرفة الجلوس، وانما استند الى الباب واغمض عينيه. انجيلا بادينغلي، لقد تغلغلت تلك المرأة في نفسه بطريقة كانت معقولة في الأسبوع الماضي، عندما كان مقتنعاً بأنها مجرد امرأة اخرى مطلقة وحيدة تبحث عما يبدد وحشتها. وحتى في ذلك الوقت، بدت له جذابة، والآن، بعد ان تركته تلك المخلوقة الهشة اصبح الأمر

مختلفاً. فهي لم تكن تلك المخلوقة الهشة الضعيفة التي تصور، والتي كان قد صمم على ان لا يؤذيها. انها امرأة عصرية تماماً بامكانها ان ترى مصلحتها وتعتني بنفسها.

فتح عينيه مرة اخرى، وابتسم في الظلام، لقد كان هو أيضاً رجلاً عصرياً تماماً، والذي بقي سنوات طويلة يسعى الى ما يريد، وكان يناله عادة، خصوصاً بعد أن تعلم من آمي وكوني ان لا يفكر في الارتباط. ورجل مثله سيقع في المشكلات اذا هو توقع ذلك. لقد عرف هذه الحقيقة منذ مدة طويلة، وامتلأت نفسه مرارة ادهشته بقوتها. ومع ذلك، فإن حياته، اجمالاً كانت تناسبه.

وانجيلا بصراحتها واستقلالها، ستناسبه... لفترة ما.

وابتسم مفكراً وهو يتوجه نحو غرفة الجلوس ليواجه فضول افراد اسرته...

«ما الذي جرى يا سيدة بادينغلي؟ أراك تبدين كثمرة الصبار المنتفخة.» وعندما رفعت انجيلا حاجبيها، دفع روبين بكرسيه الى الخلف وهو يقول موضحاً: «اعني مليئة بالأشواك، هل كانت عطلتك الأسبوعية سيئة؟»

وأطبقت انجيلا فمها بشدة لا تريد ان تبدي استجابة لمزاحه هذا، وأجابت: «لقد امضيت، في الواقع، عطلة هادئة جداً.» وكانت لهجتها تنهي هذا الموضوع بينما اخذت تقوّم من مشبك للورق محيلة اياه الى قطعة شريط لا فائدة منها.

انها شائكة حقاً ومنتفخة، كما قال لها روبين، فهو لديه طريقة في استخدام الكلمات عندما يريد. وربما كان على حق. فقد امضت العطلة في اقتلاع الاعشاب الضارة في حديقتها، وازالة شراك العناكب والاتربة والغبار من

الحديقة ومن غرف منزلها، ومسح كل جدار وجهاز عندها. وطيلة الوقت الذي كانت تعمل فيه، كان ثمة شعور داخلي عميق بأنها انما تنفض من حياتها شخص رايان.

غير أن هذا لم يأت بفائدة، اذ انها، منذ الوقت الذي كانت في زيارة لمنزل والده، لم تستطع ان تتوقف عن التفكير فيه.

هل كان استياؤها سيكون اقل، لو انه استمر في الظن بأنها ارملة وحيدة تبحث عن شريك لحياتها؟ اذا كان الأمر هكذا، فهذا يعني انها غير عقلانية. فليس ثمة سبب يجعلها تستاء منه لأنه كان صريحاً معها في قوله انه يريد ما تريده هي نفسها.

وسمعت روبين يتمتم وكأنه يقرأ افكارها: «لقد كان رايان هو ايضاً، يتصرف كثمرة الصبار.»

فأجابت: «احقاً؟» قالت هذا وهي تتمالك نفسها محاولة ان تبدي عدم الاهتمام.

أجاب: «لقد اخبره السيد كونيسكي، اعني السيد هاري، بأن ازمة قلبية اخرى ستصيبه اذا هو لم يكف عن الصراخ كسلحفاة البحر، وعن النظر في طعام العمة شارلوت وكأنه يظن انه سيبادله العض كما ان العمة شارلوت اخبرته...»

فقاطعته انجيلا: «أعرف. اخبرته شارلوت ان عليه ان يكون لطيفاً، ولكنه ليس لطيفاً.»

سار روبين ناحية النافذة وهو يقول: «انه لكذلك، انك تعرفين، المسألة هي انه لا يثق بأحد عدا نفسه، كما انه لا يريد ان يحتاجه احد الا اذا كانوا من عملائه.»

نظرت انجيلا اليه بحدة، انها لم تعهد روبين من قبل،

يتحدث بهذه الكثرة... وبهذه اللهجة الجادة وكأنه يعلم عن رايان شيئاً لا تعرفه هي.

وسألته بهدوء: «ما الذي يجعلك تقول ذلك؟»

فهز كتفيه واستمر يحدق في الشارع.

عادت تقول باصرار: «روبين؟ لقد القيت عليك سؤالاً.»

فأجاب: «نعم، حسناً، انك تعلمين...»

فقالت: «كلا، أنا لا أعلم.»

فاستدار الفتى نحوها وجلس على حافة النافذة وهو يحدق في حذائه باهتمام غير عادي، ثم تمتم قائلاً: «ظننت انك ربما لا تعلمين، ولكن رايان اخبرني بنفسه، وهكذا ظننتك... اعني انك وهو تبدوان... هممممم...» وتنحنح.

قالت تساعده على الكلام: «تعني اننا صديقان؟» فنظر اليها وقد اشرق وجهه وكأنها اسعفته بالجواب الصحيح.

وقال: «نعم، صديقان.»

فقالت: «وماذا ايضاً؟»

فقال: «ظننتك تعلمين.»

فسألته: «اعلم ماذا؟» وتساءلت عما اذا كانت ثقالة الورق، فيما لو قذفته بها، لن تصيب رأسه بل تصدم زجاج النافذة فتكسره.

وقال: «ان رايان... اعني، انك تعلمين...» وعندما رفعت انجيلا ثقالة الورق تهم بضربه بها، اسرع يقول: «اعني ان رايان سبق وامضى ثلاث سنوات في السجن.»

ذهول. عدم تصديق. استنكار. مدت انجيلا يدها الى فنجان قهوتها وأخذت تحدق ببلادة في الحثالة المترسبة في القعر، ثم عادت فتركته.

بعد ذلك بوقت طويل، يمكنها ان تتساءل لماذا احدثت قنبلة روبين عليها كل ذلك التأثير. ولكنها، الآن تحافظ على وعيها. وشعرت بالبرودة تشمل كيانها، كما كان في حلقها احساس حارق بالمرارة.

سألها روبين بقلق: «هل أنت بخير يا آنسة بادينغلي؟» وردها سؤاله هذا إلى ان تكتشف انها كانت تخرج من الكباسة دبابيسها بكل عناية، ثم تلقي بها على الأرض.

وضعت الكباسة جانباً وهي تجيبه قائلة: «نعم، بالطبع. انني بأحسن حال.» ورفعت رأسها تمنحه ابتسامة كانت تريدها أن تعبر عن عدم الاهتمام، وهي تتابع قائلة: «كنت مندهشة فقط. وهذا كل شيء. هل أنت متأكد من ان رايان اخبرك بأنه... بأنه كان في السجن؟»

فأجاب: «نعم، عندما وافق على الدفاع عني امام المحكمة، قال انه كان هو نفسه، حيث كنت انا، وانه لا يريد أن يرى فتى آخر احمق في نفس الطريق الذي سلكه. لقد صرخ في وجهي عندما قلت له انني لا اريد اي محام لعين ليدافع عني.»

فقالت انجيلا بذهول: «رايان يصرخ؟»

أجاب الفتى: «نعم، وهي المرة الأولى التي رأيته فيها يخرج عن طوره، يا آنسة بادينغلي. ما كان لي ان اتحدث بشيء لا يعنيني، ولا أن...»

فقالت انجيلا: «ولمَ لا؟» كانت قد ابتدأت تسترد انفاسها وكذلك القدرة على الحكم، وتابعت تقول: «ان كل انسان هنا يفعل ذلك الا عندما يصل الأمر الى رايان، وأنا اظن انهم

www.elromancia.com

يتجنبون الحديث عنه اكراماً لأبيه.» وسكتت لحظة، ثم تابعت تقول بعناد: «روبين... بما انك ابتدأت الآن، ما الذي اقترفه رايان في الواقع؟»

هز روبين رأسه قائلاً: «لا ادري، فأنا لم اسأله، وهو ما كان ليجيبني لو سألته.»

فقالت انجيلا موافقة: «معك حق، فهو ليس بالذي يحب ذكر ماضيه.» والتقطت قلماً اخذت تنقر به على المكتب.

اخيراً، ابتدأت الأمور تنكشف، الرجل المتحفظ، المتحكم بمشاعره والذي خشنته السنون خلف قضبان السجن، ارغم على الانتباه الى نفسه... ومن الطبيعي ان يحترس بالنسبة الى عواطفه، ويكره ان يقترب منه أحد. وفي الواقع، كان من الغريب انه مازال يعرف كيف يضحك... احياناً ولو على نفسه.

رفعت عينيها لترى روبين يحدق فيها وكأنه يخاف من أن تهاجمه بثقالة الورق مرة اخرى. وثبتت نظارتيها على عينيها. هذا لا يفيد فإن ما فعله رايان وما لم يفعله، هو ليس من شأنها... حتى ولو كاد الفضول ان يقتلها، وكذلك ما تشعر به من عطف بالرغم منها، نحو ذلك الرجل العنيف والذي لا تريد ان تعترف به. واذا كان رايان قد سبق ودخل السجن فلا بد ان يكون السبب يستلزم ذلك. ولأنها تعرفه جيداً، فهي تعلم ان من غير المحتمل ان يشكرها لأي نوع من العطف تبديه نحوه في غير محله.

وبدا القلق على الفتى روبين، فالمفروض ان تكون هي المسؤولة هنا. ومن ناحية اخرى، فان عميلتها السيدة غروبر ستأتي اليها لتغيير وصيتها للمرة الخامسة هذه

السنة وذلك في اي لحظة الآن، ويظهر ان ليس عندها عمل آخر تعمله... وإذا اشتمت السيدة غروبر رائحة شبهة في ان سلوك المحامية يستحق المراقبة، فان هذا سيطوف المدينة بأجمعها في خمس دقائق.

قالت انجيلا اخيراً: «فلنعد الى العمل، فإن شؤون اسرة كونيسكي ليست من اختصاصنا.»

استطاعت ان تضبط نفسها في الأيام القليلة التالية، حيث شغلت نفسها بالعمل رافضة ان تفكر في ما ادلى به روبين. وافترضت ان رايان لابد عاد الى سيتل. وكان بامكانها ان تسأل روبين عن هذا الأمر، ولكنها لم تشأ ذلك.

وذات مساء، في نهاية الأسبوع، قالت تحدث طائرها الصغير: «ذلك الرجل الذي مر بنا ذات ليلة.»

وأجابها آل بعطف: «كراك.»

تأوهت انجيلا قائلة: «نعم، كل هذا حسن، ولكن لماذا؟ لماذا هاجس ذلك الرجل لا يفارقني؟»

وشغل آل بجذب خصلة من شعرها، ما جعل انجيلا تتخلى عن الأمل في أن يوحي اليها بشيء ما.

وغاصت بين وسائد الأريكة الجميلة المترفة، وهي تتمتم: «لا ادري، لو كان عندي ذرة من العقل، كما كنت اظن على الدوام، لنفيته من ذهني تماماً.»

ونتف آل شعيرات من رأسها وهو يصيح ظافراً: «كراك.»

وصرخت انجيلا: «آخ.» وهي تقفز من مكانها جاعلة آل يزعق بعنف وهو يرفرف بجناحيه. وبعد لحظة تردد، نزلت الى الحديقة.

كانت الظلمة قد انتشرت الآن، وساد الهدوء والسلام،

بينما الأمواج تغسل الصخور برفق. وتركت نفسها لليل بنسائمه وغموضه، يلفها بسحره الأبدي.

بعد فترة، رن جرس الهاتف، فلاطفت آل بأصابعها، قبل أن تهرع عائدة الى المنزل.

كانت المتصلة هي سارة جاكسن تذكرها بأنها، هي أنجيلا، كانت قد وعدت بحضور حفلة مدينة كاليه كوف الخيرية السنوية الراقصة، وذلك ليلة السبت. وهذه السنة ستكون في قاعة الرقص في فندق كوف ريسورت إن، وهو فندق رائع البناء انشيء ليجتذب السائحين واعمالهم.

قالت انجيلا: «لقد اشتريت بطاقة، ولكن هذا لا يعني ان عليّ ان اذهب، اليس كذلك؟»

فأجابت سارة: «بل يعني ذلك، لأن زوجي بريت قد هرب إلى مؤتمر للبيطريين، وأبي رفض الذهاب، فاذا أنت رفضت ايضاً، فسيكون عليّ ان ابقى مع أمي والسيدة براكين لأستمع اليهما وهما تغتابان الضيوف الآخرين.»

وضحكت انجيلا قائلة: «لا بأس، اذا كان الأمر كما تقولين...»

فقالت سارة: «نعم، هو كذلك.» ثم اقفلت الخط.

داخل انجيلا الحنين الى تلك الأيام التي كانت تعلّم سكرتيرتها السابقة سارة ما يجب عليها ان تفعل.

مشت الى غرفة نومها لتختار ثوباً ابيض مزيّن بشريطة حمراء اللون.

كانت الفرقة الموسيقية قد ابتدأت بالعزف عندما دخلت انجيلا وسارة قاعة الرقص المتألقة والمزدحمة بعد الساعة

التاسعة بالضبط. ولكن الأنوار لم تكن قد خفضت بعد، كما ان الجو كان شديد الحرارة.

قالت انجيلا: «هيا بنا الى هناك.» واتجهت بصديقتها التي كان الحمل واضحاً عليها، نحو مائدة منعزلة في احدى الزوايا. واخذت تروح على وجهها بمنديل بينما استقرت سارة جالسة على كرسي، وجلست هي بجانبها ثم سألتها: «اتظنين...» وسكتت.

لقد كان يقف امامها رجل، رجل طويل القامة ذو شعر ذهبي داكن... وكان واضحاً انه لم يكن في سيتل، وكان يمد اليها يده قائلاً: «مساء الخير يا انجيلا، اعتقد ان الرقصة الأولى ستكون لي.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

حدّقت انجيلا في اليد الممدودة. كانت يداً عريضة ذات اظافر قصيرة خشنة واثر جرح منحرف على اصابع يده، ولكنها لم تلحظ هذا من قبل. لقد لاحظت أثر الجرح الذي في جبينه فقط. ورفعت عينيها إليه تساورها فكرة صائبة وهي ان تركض هاربة منه.

كان رايان يبتسم. ولكنها ابتسامة آمرة لا تعرف التهاون جعلت ساقيها تتخاذلان. وأخيراً استطاعت ان تتكلم بوضوح فسألته: «ما الذي تفعله هنا؟» كانت لهجتها تتضمن اهتماماً بسيطاً.

عاد يقول وكأنه يشرح الأمر لطفل صغير: «إني اسألك ان تمنحيني هذه الرقصة.»

فأجابت: «نعم، ولكن... كلا. كلا. شكراً انني افضل عدم الرقص.»

فقال: «لا بأس سأعيد صياغة كلامي. انني لم اكن اسألك.» وأمسك بمعصمها وهو يستطرد: «تعالي يا آنسة بادينغلي. فأنا وأنت انما نضيع الوقت دون فائدة.»

فابتعدت تقول: «انني لا أضيع الوقت ابداً...»

قاطعها قائلاً: «إذن فقد ابتدأت الآن.» وسمعت سارة تضحك برقة بينما كان رايان يجرها، ليضع ذراعه حول خصرها وكأنها في مكانها الطبيعي، ومن ثم يدور بها في الحلبة.

كان أول ما شعرت به انجيلا هو أن ترفس رايان كونيسكي، ثم ما لبثت ان ابتدأت تستمتع بالرقص معه.

كان حولهما راقصون آخرون ولكنها لم تكن منتبهة إلى وجودهم.

سألها ببساطة: «اتريدين اطالة الرقصة؟»

فأجابت: «آه، كيف...»

فقاطعها: «كيف أجرؤ؟ لقد سبق وتجرأت على اكثر من هذا، يا انجيلا، وأحياناً كنت انا الخاسر.»

سألته وقد غلبها الفضول: «مثلاً؟»

فأجاب: «سأخبرك يوما ما. عندما يكون الوقت مناسباً، أما الآن فإن عندي ما هو أهم من هذا بكثير.»

فقالت: «مثل ماذا؟»

أجاب: «مثل هذا.» وسرعان ما تأملها بحنان واعجاب.

كانت الموسيقى ترسل في اوصالها مشاعر غامضة، كما كان الجو شديد الحرارة، والجموع تروح وتجيء حولهما بغير نظام. وبعد ذلك، لم تعد تشعر بالمكان الذي هي فيه ولا على أي كوكب يقفان. كل شيء لم يعد له معنى، ذلك أن الحقيقة الوحيدة التي كانت أمامها هي رايان. اما من كان هو، وماذا فعل فهذا لم يكن مهماً، ورغم ان بقية الادراك الذي ما زال في اعماقها حاول ان يخبرها أن هذا المكان هو خطأ، وكذلك هذا الرجل هو خطأ، وربما السنة ايضاً هي خطأ، رغم كل هذا، رقصت معه.

وبعد ذلك بمدة طويلة، أو ربما بدا لها ذلك، انتبهت إلى ان الموسيقى قد توقفت، وألقت الثريات بأضوائها على الجدران، وقد ساد قاعة الرقص سكون مفاجيء.

دام ذلك أقل من ثانية.

وتسابقت التعليقات: «تصوروا. أمام كل انسان دون حياء.»

وآخر: «انجيلا بادينغلي من بين كل الناس...»

وآخر: «ذلك هو رايان كونيسكي انه لم يتغير ابداً. اراهن على انه لم يعد الا لاحداث المشاكل.»

عندما عادت انجيلا ونزلت إلى الأرض، طرقت مسامعها تلك الهمهمات المستاءة تخترق السكون. وتذكرت بعد فوات الأوان، انها تعيش في مدينة صغيرة.

عادت الموسيقى إلى العزف. قالت وهي تحاول التملص من بين ذراعيه: «دعني...»

فسألها وهو يمسكها بشدة: «إلى اين تذهبين؟»

أجابت: «انني عائدة إلى سارة. دعني يا رايان.» وتوقفت عن النضال وأخذت تهمس ثائرة، ذلك لأن دزينتين من الأعين كانت تراقبهما ودزينة من الأعناق بدا عليها التصلب. وعندما لم يتركها تذهب، بل استمر في الدوران بها في حلبة الرقص، رسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة ومالت برأسها إلى الخلف متظاهرة بالتحدث معه بشكل عادي، ثم قالت بلهجة ناعمة: «رايان كونيسكي، إذا انت لم تتركني اذهب هذه اللحظة، فسأصرخ.»

أجاب: «هذا حسن. سيكون في هذا بعض التغيير في هذه القاعة التي ينتشر فيها المترفعون المتزمتون، كما ان الباحثين عن الفضائح سيستمتعون بكل لحظة من ذلك.»

صرت انجيلا بأسنانها غيظاً ثم عادت تقول: «لن افعل

ذلك. ولكنني سأكون شاكرة لو تتوقف عن استعمالي مخلب ثأر خاص بينك وبين سكان هذه المدينة.»

فقال: «اهذا ما تظنينه؟ ان أمر كاليه كوف لا يهمني، يا انجيلا مثقال ذرة. لقد توقفت عن الاهتمام بها منذ وقت طويل.» وعندما نظرت إلى وجهه، رأت الحقيقة في ملامحه. لقد ابعد عن اهتمامه تماماً تلك المدينة التي نشأ فيها.

قالت ببرود: «ربما انت لا تهتم، ولكنني أنا أعيش هنا.»

أجاب: «كان عليك أن تفكري بهذا قبل ان تسمحي لنفسك بالرقص معي بكل ذلك الاستمتاع، كنت ستكسبين كل من في القاعة إلى جانبك لو أنك صفعتني، ولكن، لا تقلقي. ان هذا شيء بسيط لن يسبب أذى لعملك. وربما، هو على العكس ينفعه.»

أجابت وما زالت ابتسامتها المصطنعة مرسومة على وجهها: «اتظن ذلك؟ انك إذن، انسان ساخر بقدر ما أنت رديء. اظنك تحب التصرف بمثل هذه الأنانية نحو كل شخص آخر.»

ولوى فمه وهو يجيبها: «ليس نحو كل شخص، بل نحوك فقط، وذلك لأنك أنت أردت ذلك. رغم ادعائك العكس.»

فقالت: «ألم يخبرك أحد قط أن مثل هذا النوع من غطرسة الرجال ذهب بها العصر الحديث؟»

اطلق ضحكة جعلت الأعناق تستدير إليهما. وقال: «انك على الأقل، اعترفت بأنني قديم الطراز عدة سنوات فقط. ولا بد ان هذا يجعل لي عذراً.»

كان يتحدث بلهجة فكاهية هازلة جعلت انجيلا تبتسم.

www.elromancia.com

تنهدت قائلة: «يا لك من رجل صعب.»

أجاب: «صعب فقط؟ ظننت أنني رديء.»

فقالت: «وهذا أيضاً.»

قالت له متوسلة: «ارجوك يارايان. خذني إلى سارة، فهي بمفردها...»

فأجاب: «هذا أفضل. انك تعجبينني عندما تقولين ارجوك.»

فكرت انجيلا في أن تدوس على قدميه، ولكنها تخلت عن هذه الفكرة وهي تراه يقودها نحو الزاوية حيث صديقتها بمفردها في انتظارها. ولكن سارة لم تكن بمفردها.

كان هاري كونيسكي وشقيقته شارلوت يجلسان إلى جانبها. وكان الثلاثة تكسو وجوههم ابتسامة حنان مشرقة هي ابتسامة ابوين يجدان فجأة، ودون سبب معروف، ان اولادهما قد استقروا اخيراً وتحملوا المسؤولية.

أومأ هاري نحو انجيلا قائلاً: «مساء الخير يا انجيلا. أرى ان ابني قد احتكرك لنفسه مرة اخرى.»

فابتدأت انجيلا تقول: «كلا، في الحقيقة...» وتحولت جانباً مبتعدة قدر استطاعتها عن مسبب كل ذلك الاحراج لها.

هز هاري رأسه قائلاً: «لا بأس في ذلك. انني لم اقصد ان اشير إلى ما حدث ذلك اليوم.»

قالت: «آه، انك طبعاً لم تقصد.»

قال رايان وهو يبتسم لأبيه: «كلا، انه كان يقصدني انا. اليس كذلك يا أبي؟» ولاحظت انجيلا في عينيه، وهو ينظر إلى أبيه، حباً مزيجاً بحزن غامض، وهو يتابع قائلاً: «انها

عادة اكتسبها منذ مدة طويلة، عندما أخذ يخاف من الأسوأ، فوقع فيه.»

فقال الأب: «آه... لقد انتهى كل ذلك الآن.»

تدخلت شارلوت قائلة بسرعة: «انتهى طبعاً يا عزيزتي انجيلا، كم تبدين جميلة. كيف حالك؟»

فأجابت: «انني بأحسن حال. ولكنني لا استطيع البقاء طويلاً.»

قالت سارة ومي تنظر بعينيها مباشرة: «بل يمكنك ذلك طبعاً. لمَ هذه العجلة؟»

أجابت انجيلا: «آه، حسناً إذا اردتني ان امكث معك...»

قالت سارة: «كلا، لا أريدك. اذهبي ومتعي نفسك.»

قالت انجيلا: «ولكنك سبق وقلت...»

فارتسمت على شفتي سارة ابتسامة أبي الهول وهي تجيبها: «اعرف انني قلت. تذوقي دواءك، يا انجيلا. أتتذكرين عندما أصريت عليّ بأن اخرج مع جون مارلو مباشرة بعد ان انفصمت العلاقة التي بيني وبين برت قائلة بأن وجهي المتجهم كان يشعر عملاءك بالامتعاض؟»

فبادلتها انجيلا ابتسامتها مرغمة وهي تقول: «نعم، ولكن ذلك الأمر كان مختلفاً. فأنا لم افصم علاقتي مع أحد.»

فقالت سارة باسمة: «هذا لأنك منذ مدة طويلة، لم تمنحي احداً فرصة لانشاء علاقة يمكنك أن تفصميها، إلا حديثاً.» وألقت نظرة على رايان.

فكرت انجيلا انها مسألة تستلزم الصبر. فمن المحتمل جداً أن تكون شارلوت قد تحدثت عنها وعن رايان إلى والدة سارة، وهذه اخبرت ابنتها... ولكن كيف امكنهم أن يقنعوا

رايان يأن يمتثل لمخططاتهم تلك؟ واختلست نظرة إليه. كان واقفاً منفرج الساقين وقد عقد ذراعيه فوق صدره وهو يستمع إلى الحديث وقد ضاقت عيناه، وكأنه يجد موضوع حياة انجيلا الخاصة شيئاً مشوقاً. لا يمكن ان يكون هذا هو السبب في رغبته في الحضور إلى الحفلة... وإنما هو افتراض ليس إلا. كلا، يجب ان تنبذ هذه الفكرة من رأسها وتخرج من هذا المكان بأسرع ما تستطيع فليس ثمة فائدة في ان تدع الأمور تتطور إلى الأبعد.

وابتدأت تقول وهي تحمل حقيبة يدها تحت ذراعها: «حسناً، إذا كنت لست بحاجة إليّ، يا سارة...»

فأمسك رايان بيدها وهو يقول: «هي ليست بحاجة إليك، بل أنا.» وجرها نحوه يعيدها إلى حلبة الرقص قبل أن تستجمع شوارد ذهنها.

ومرة أخرى، انتابها ذلك الوهن المثبط. كانت تعلم أنه إذا استمر رايان في امساكها بتلك الطريقة التملكية فسينتهي بها الأمر إلى الشعور بأن له الحق في ذلك. وعاجلاً أم آجلاً، سينتهي بها الأمر إلى أن يتفرج عليها كل من في القاعة والسبب لن يكون في أنها ستصفع وجهه الوسيم، بل العكس.

تمتمت: «أريد ان اشرب شيئاً، من فضلك.»

فأجاب: «بالطبع.»

قادها إلى غرفة ملحقة بالقاعة حيث كانت مقاعد جلدية حمراء تحيط بمناضد سوداء. وبينما ذهب هو يحضر كوبي عصير، بقيت وحدها لحظات قليلة وهي تشعر بالراحة لذلك.

ومنعت نفسها من النظر، بشوق، إلى رايان الذي كان يوليها ظهره، وهي تخاطب نفسها، ما هذه السخافة يا انجيلا؟ اما ان تذعني وتهدئي الآن، ومن ثم يخرج من حياتك، واما ان تخرجي من هذا المكان في هذه اللحظة.

ولكن رايان كان في طريق العودة حاملاً بيده كوب العصير.

وقالت له بسرعة قبل ان يجلس: «انني آسفة، فقد غيرت رأيي. انني اشعر بشيء من الغثيان ربما من حرارة الجو، والأفضل ان اعود إلى المنزل.»

فقال ساخراً وهو يضع الكوبين على المنضدة: «يا لك من جبانة.»

فأجابت: «انني لست...»

فرد عليها وهو يجلس: «بل أنت كذلك. ولكن، كما تشائين. انما انا شخصياً أريد ان انهي عصيري وبعد ذلك، إذا كنت تصرين، سآخذك إلى بيتك.»

فقالت: «انك لن تأخذني، سأستقل سيارة أجرة.»

فهز كتفيه وهو يسمرها مكانها بنظراته المتهكمة، ثم انهى ما بقي في كوبه بسرعة.

حملقت انجيلا فيه، وقبل ان تدرك ما تفعل، اخذت رشفة من كوبها. واستمر رايان يحدق فيها بنظراته تلك التي كانت تسبب لها الحيرة والارتباك.

قالت له: «ما كان لك ان تتناول العصير بمثل هذه السرعة.»

أجاب: «اتظنين ذلك؟ والآن، هل أنت جاهزة للذهاب؟»

فأجابت: «ليس معك.»

قال: «بل معي بالتأكيد. فأنا متأكد من أن سارة لا تريد الذهاب الآن. ولا أريدك ان تذهبي في سيارة أجرة.»

حملقت فيه وأجابت: «ماذا تعني؟»

فقال: «هل غيرت رأيك وقررت البقاء والرقص معي مرة أخرى؟»

فكرت انجيلا عابسة، في ان بإمكانها بالطبع، ان تبقى ولكن دون ان ترقص معه. ولكنها شعرت بأن القول غير الفعل. فهي حتى الآن لم تستطع ان تنجح في تجنب الرقص معه. وإذا كان بإمكانها ان تتحمل همسات الجموع، فليس في إمكانها أن تتحمل علامات الاستحسان والأمل على وجهي الأب والعمة شارلوت.

أما بالنسبة إلى سارة فستتحدث إليها فيما بعد.

قالت ببطء: «كلا. لا أريد أن ابقى. ولكن...»

فقال: «ولكنك لا تريدينني. انجيلا، انني اعرض عليك ان اوصلك إلى منزلك وليس إلى مخزن التبن.»

وضعت كوبها بعنف وهي تقول ساخرة: «لقد ارتحت الآن، لأنني لا احب التبن.»

كبت رايان ابتسامته ونظر إليها متأملاً وهو يميل برأسه قائلاً: «كلا؟ كلا. لا بد لي من القول ان هذا لا يمكن أن يكون نمط حياتك. كيف يمكن أن يناسبك التبن بجانب الملاءات الحريرية وفراش الريش الناعم الذي تعودته؟»

شعرت انجيلا بالدم يتصاعد إلى وجهها. وشعرت برغبة في الثورة على رايان هذا.

قالت وهي تقف برصانة كاتمة غيظها: «ان الذي

يناسبني هو أن اعود إلى المنزل مبتعدة عنك. وداعاً يا رايان، وشكراً للعصير الذي قدمته إليّ.»

وما ان ابتعدت عنه دون ان تنظر إلى الخلف، حتى حاولت أن لا تفكر بعينيه. فهي لم تلمح فيهما أية بارقة من الندم. ولكن، ما ان ابتعدت عنه، حتى ارتكبت غلطة بأن نظرت إليه من فوق كتفها.

رأته ينظر إليها ضاحكاً، وهذا ما أثار جنونها بنوع خاص لأنها، حتى هذه الليلة، كانت مقتنعة بأنه كان قليل الضحك، وأزعجها ان تكتشف خطأها هذا.

اجتازت قاعة الرقص حيث كانت الموسيقى تعلو وازواج الراقصين الأصغر سناً تدور في الحلبة تحت ما كان يمثل قوس قزح من الأضواء.

وقالت لصديقتها التي كانت مستغرقة في الحديث مع شارلوت عن الأطفال: «انني خارجة يا سارة.»

فأجابتها سارة وقد اشرق وجهها: «آه، لا بأس.» ولم يخطر ببال انجيلا إلا فيما بعد، أن ابتسامة سارة لم تكن تنطق بالبهجة كالعادة، وبعد ذلك بوقت طويل تذكرت ان سارة ما كانت لتتخلى عن صديق في وقت الضيق، مثلها هي. واجتازت ردهة الفندق دون ان تتوقف لتتصل هاتفياً بسيارة أجرة. ذلك ان في مناسبة كهذه لا بد ان تكون ثمة واحدة تنتظر في الخارج.

ولكن لم يكن ثمة أي سيارة. وبدلاً من ذلك وقفت امام الباب سيارة ألفا روميو فارهة بيضاء في الوقت الذي وصلت هي فيه إلى الباب. وعندما وصلت إلى الخارج كان هو في الانتظار لكي يمسك بها.

www.elromancia.com

وقالت له: «ولكنني سبق وقلت انني سآخذ سيارة...»

فأجاب: «هذا جميل. سأمثل أنا دور سائق السيارة إذن. إذا كان هذا ما تريدين.»

فقالت: «ما أريده هو أن تتركني وحدي.»

أجاب: «لماذا؟ انني أؤكد لك يا انجيلا ان كل ما أفكر فيه هو أن اوصلك إلى منزلك، إلا إذا كان لك رأي آخر.» ووقف على أسفل الدرجات وأدارها نحوه لتواجهه. كانت عيناه تحت اضواء الفندق، تنفثان سخطاً وهو يتابع قائلاً: «ما الذي فعلته أنا؟»

فتحت انجيلا فاها ثم اطبقته بسرعة. لقد ألقى عليها السؤال ذاته الذي كانت مستميتة طيلة السهرة لكي تسأله إياه. ما الذي فعله؟ ولكن لم يكن الوقت ولا المكان مناسبين، لكي يتناقشا بشأن ذنوب ماضية. وعندما أخذت تفكر بشكل منطقي، ادركت ان ليس من المفروض ان تمانع في الصعود إلى سيارته. ومهما كان قد اقترف فيما مضى، فهي لا تظن أنه قد يكون مهاجمة شخص أضعف منه. لقد كان رايان اكثر غطرسة وكبرياء من أي رجل عرفته من قبل. ولكن في أعماق نفسها، كانت تدرك انه لن يؤذيها. ليس جسدياً على كل حال.

في أعماق نفسها، كذلك، كانت تدرك انها انما تخاف من أذى من نوع آخر. وكان هذا غريباً لأنها طوال السنوات التي مرت عليها منذ طلاقها من كلفين، لم يشعر قلبها بأي تهديد قط من أي رجل كان.

كلفين... من الغريب انها كانت مؤخراً، قد أخذت تتذكر الأوقات الماضية الجميلة عند بداية زواجهما وكان الحب

يجمعهما، عندما كانا يضحكان معاً. وكانت لا تدرك، حينذاك ان كلفين لم يكن ليهتم سوى بأموره الخاصة... نابذاً أمورها هي. وتنهدت بهدوء ان احدى عشرة سنة دون حب رجل هي مدة طويلة حقاً...

وأجابته قائلة: «انك لم تفعل شيئاً. على الأقل شيئاً اعرفه انا. حسناً، إذن يمكنك ان توصلني إلى منزلي إذا كنت مصرّاً.»

حنى لها قامته ساخراً، رافعاً يده إلى قبعة لم يرتدها، محيياً وهو يقول كأي سائق سيارة أجرة عادي: «شكراً يا سيدتي. ان هذا فضل كبير منك.»

لم تستجب انجيلا إلى تهكمه هذا. ولكن عندما فتح لها الباب الخلفي وهو ينحني مرة اخرى، قالت له: «آه، لا تكن مزعجاً، فأنا سأجلس بقربك في المقعد الأمامي.»

فقال: «هذا تنازل كبير منك، يا سيدتي.» وكان وجهه جاداً وهو يفتح لها باب السيارة ثم ينتظر بهدوء ريثما صعدت إلى المقعد بجانبه. ثم اتخذ هو مقعده وراء عجلة القيادة، ليتوجه بعد ذلك إلى منزلها.

كانت حركة السير خفيفة، ما جعلهما يصلان في فترة دقائق قليلة، كانت بالنسبة إلى انجيلا، حافلة بالتوتر، ولم ينطق رايان بكلمة كما أنه لم ينظر إليها. وبدا عليه وكأنه نسي كل شيء عن وجودها. وعندما وقف امام منزلها، فتحت هي الباب على الفور، وهي تقول: «اشكرك. كان هذا لطفاً منك.»

لكنه كان قد سبق ونزل ليقف بجانبها قرب السيارة. وعندما نزلت ورفعت بصرها إليه في ضوء القمر، رأت

عينيه الرماديتين تتألقان كالفضة، وتابعت تقول: «انني... لا بأس. ليس عليك أن تسير معي إلى المنزل.» ثم فتحت حقيبتها تخرج المفتاح.

فوضع يديه في جيبيه وهو يستند إلى السيارة قائلاً: «لم أكن أفكر في هذا.»

أدارت له رأسها وهي تندفع في الطريق نحو المنزل. وتملكها الارتياح عندما دار المفتاح في القفل بسهولة دون أن يسبب لها أي احراج، وحدثت نفسها وهي تدخل أن لا تلتفت خلفها. ولكنها التفتت خلفها وكان رايان لا يزال واقفاً حيث تركته. كانت ملامحه غامضة ولكنها أدركت انه كان يبتسم ابتسامته الواثقة من نفسه تلك إلى درجة تثير الغيظ.

رفع يده إليها يحييها ولكنه لم يصعد إلى سيارته، وازدردت انجيلا ريقها، وتمسكت بالباب تستند إليه. ثم قالت له لاهثة: «اتحب ان تدخل؟»

فأجاب وهو يتقدم نحوها بخطوات واسعة نشيطة: «طبعاً. وماذا تظنيني، انتظر هنا إذن؟» ونظرت إلى قامته الرائعة القوية وخطواته المرنة كأي رياضي.

وعندما ادركت ما الذي فعلته، كان الأوان قد فات. ولكنها عندما غيرت رأيها وأرادت ان تقفل الباب في وجهه، كان قد أمسكه بيده يمنعها من ذلك.

قال بهدوء: «كلا، لا تفعلي، فقد طلبت مني الدخول بنفسك. ولا يمكنك ان تتصرفي معي بهذا الجبن الآن.»

قالت: «بل بإمكاني ان...» وسكتت. فهذه هي المرة الثانية هذه الليلة التي يسميها بالجبانة. بينما لم تكن هي

بالجبانة مطلقاً. وإذا كزان عليها ان تثبت له ذلك فليكن.

وهكذا قالت بمرح: «انني لا انوي ان استرد دعوتي لك بالدخول.» ووقفت جانباً لكي يدخل ثم سألته: «اتريد قهوة؟»

استقام في وقفته ببطء وهو يقول: «في هذه الحالة، سأتناول القهوة.» وهز كتفيه وهو يتجه نحو غرفة الجلوس متابعاً قوله: «قهوة سوداء مع سكر من فضلك.»

ولم يتبرع بمساعدتها مما جعلها ممتنة لذلك، فقد كانت بحاجة ماسة إلى الانفراد بنفسها ولو لعدة دقائق.

ما الذي حدث لعقلها. وكيف سمحت لنفسها بادخال هذا الرجل المدمر إلى بيتها؟ ما الذي كان سيحدث لو أنها أحضرت له القهوة التي لا يريدها؟ وضربت جبهتها بباطن كفها. ما الذي تريده هي نفسها أن يحدث؟

استدارت انجيلا نحو صنبور الماء، ثم ابتدأت تشغل نفسها بصنع القهوة. عليها ان لا تفكر في ما تريده. فهي تعرف بحدسها الذي لم يكن ليخذلها، ان وصولها إلى ما تريده الآن، سيسبب لها الحزن. وهو حزن ربما كان أعمق مما خبرته عندما تركها كلفين، فتلك الصدمة التي كانت نتجت عن عدم التصديق والشعور الهائل بالفراغ، قد شفيت منها بشكل اسرع مما كانت تتوقع. ولكنها الآن اكبر سناً والجروح لا تشفى بنفس السرعة التي حدثت بها في السنوات الماضية. فإذا هي منحت قلبها إلى رايان...

وأخذت صينية معدنية صغيرة وضعتها على المنضدة بعنف، ثم وضعت فوقها القهوة والفنجانين. ثم خرجت

تقابل رايان بوجه متجهم كان من الممكن ان يحمله على الهرب انقاذاً لحياته.

في الحقيقة جعله وجهها هذا، فقط، يضع من يده الكتاب الذي يبحث في حياة الطيور والذي كان يتصفحه، ومال برأسه إلى مسند الأريكة وهو يهتف: «النجدة. أظنني سأموت شاباً. ما هذا الذي في يدك؟ سم؟ فأس. هل قررت خنقي بيديك هاتين؟»

أجابت: «موت بالصدفة.» ودهشت إذ وجدت نفسها تهم بالضحك، كان غريباً حقاً تلك السرعة التي استطاع فيها رايان ان يغير مزاجها فيها!

وتنهد قائلاً: «وتقطيع الأوصال لتشريح كيفية الوفاة. هذا ما كنت خائفاً منه.»

استطاعت انجيلا ان تمنع نفسها من الضحك وهي تقول: «انك ميئوس منك.»

فأجاب: «كما انا رديء وصعب ومهزوز. نعم. لقد فهمت الآن تماماً لماذا تريدين ان تقتليني. لا بأس. دعينا ننهي هذا.»

حدقت فيه مبهورة، فابتسم لها ابتسامته التي لا تقاوم. وببطء، ودون ارادة منها، انما غير قادرة على رد نفسها جلست على الأريكة.

نظر في عينيها وهو يقول: «حسناً. امازلت تريدين القيام بذلك؟» فهزت رأسها بصمت. انها لم تعد غاضبة، هذا إذا كانت قد سبق وغضبت حقاً... كانت فقط منومة بنظرات عينيه المتسلطتين.

ابتسم قائلاً: «حسناً، هل لديك بديل آخر لذلك؟»

فأجابت: «كلا، أنت لديك. أليس كذلك؟»

فأجاب: «ليس بالضرورة.» ووضع ذراعه على مسند الأريكة وهو يستطرد قائلاً: «ليس قبل ان تعترفي بأنك تريدين نفس الشيء الذي أريده، ولنفس السبب.»

سألته: «اي سبب؟» وكانت تعلم اثناء سؤالها هذا، بأنها لا تريد ان تعرف الجواب.

أجاب: «لحظات من الحب والتقارب نسرقها من وحشة الحياة.»

حدقت في خط فكه القوي، وخطوط فمه الساخرة. وعينيه اللتين كان يبدو فيهما التألق الذي تحول فجأة إلى كآبة جعلت جوابها الساخط يموت على شفتيها.

قالت بهدوء: «أظن الأمر كما تقول، مع انني اعرف بعض الناس المحظوظين يطلقون على هذا الشيء اسماً آخر.»

فلوى شفته هازئاً وهو يقول: «الحب؟ هل هذا هو الاسم الذي تعنينه؟ انك اكبر سناً من ان تؤمني بهذه التخيلات الصبيانية يا انجيلا. ولكنني متأكد من انك تعرفين هذا.»

فقالت وهي تحدق في عرق نابض في عنقه: «نعم، لقد وصلت إلى هذه النتيجة بنفسي منذ سنوات.»

لقد سبق وعلمت كل هذا، ان الحب كان مجرد تخيلات. ولكن لماذا تشعر بمثل هذا الحنان الغريب نحو رجل خشن مستبد يبدو ان لديه مناعة ضد أي شعور بالحنان او الرقة. لم يكن الأمر معها مجرد تجاذب جسدي ولو أن ذلك له تأثيره بالتأكيد.

سألها بلطف: «لماذا نقوم نحن بهذه الألاعيب الحمقاء؟ انني اريدك يا انجيلا وسأحظى بك سواء عاجلاً ام آجلاً.»

فأطلقت ضحكة عالية وهي تجيبه قائلة: «يا لهذا الغرور الذي لا ينتهي. ألم يخطر ببالك قط انني قد لا أريد ان احظى بك؟»

فأجاب: «كلا. كلا. انني لست مغروراً، لقد فارقني ذلك النوع من الغطرسة منذ وقت طويل. ولكن الذي اعرفه هو انه إذا حدث واسقطت امرأة جاكتتها أمامي، مستعملة عينيها العسليتين لاغوائي، فهذا يعني انها تريد شيئاً ما. هو شيء ربما كان نقوداً، او ربما زواجاً... وقد يكون مجرد عمل. ولكن بالنسبة إليك، لا يمكن أن يكون ما أردته أحد هذه الأسباب، مما يترك مجالاً للظن بأنه...»

قالت: «معك حق. فأنا أود رفقتك.» وأتى اعترافها هذا همساً ثم استطردت: «ولكنني لا أريد رفقة رجل لا أعرف عنه شيئاً. فأنا كما سبق وقلت انت، لم اعد فتاة صغيرة. فعندي بقية من المنطق او على الأقل، هذا ما أرجوه.»

بدا وكأن قناعاً كسا وجهه، ليقف بعد ذلك، بصورة مفاجئة جعلتها تشهق.

أطلق بحدة سؤالاً كأنه رصاصة يوجهها إليها: «وما الذي تريدين ان تعرفيه؟» وعندما جلست ذاهلة تحدق فيه، ادار لها ظهره وخطا نحو النافذة ولم تكن الستائر مسدلة، ما جعل رأسه يبدو كشبح اسود للظلام الذي خلفه.

تنفست انجيلا بعمق، هذه هي فرصتها الوحيدة. وكان عليها ان تعرف فالأمر لم يكن مجرد فضول. فهناك جنايات معينة تضع الرجال خلف القضبان... وهذا ما يبعده عن طريقها إلى الأبد.

تصلبت ذراعاها إلى جانبيها وهي تقبض على الوسائد

بشدة، قائلة: «لقد أخبرني روبين، انك سبق وامضيت ثلاث سنوات في السجن، فإذا لم تشأ انت ان تخبرني عن ذلك، فسأتفهم الأمر. ولكن...»

فقاطعها: «ولكنك لن تذهبي مع رجل كان بحاجة إلى من يحميه من السجناء. هذا هو قولك، أليس كذلك؟ آه يا انجيلا. انت ايضاً؟ هل تعتقدين...؟» وسكت فجأة. كان باستطاعتها ان ترى ملامحه في زجاج النافذة. ولكن اشمئزازه كان يبدو في طريقة وقوفه الحازمة... برأسه المرفوع وكتفيه المائلتين إلى الخلف بينما يداه تتشبثان بحافة النافذة.

لقد عبر عما يجول بذهنها، ما جعلها، للحظة، تفقد القدرة على التفكير. ولكنه لم يتحرك، بل وقف هناك أشبه بأسد ضخم غاضب بعد ان جذبت ذنبه. وأخيراً امكنها ان تقول بثبات: «كلا، ليس هذا في الحقيقة، انني لا أعرف كيف ينبغي ان افكر، ولكن... انني آسفة، انني اريد ان اعلم ما سبق وقمت به، قبل أن...»

فقاطعها: «قبل ان تشرفين بدخولك منزلي؟» كانت مرارته واضحة، ولهجته لاذعة بشكل متعمد، إلى حد شعرت معه انجيلا بطبعها يثور، ولكنها ما لبثت ان اخمدته.

استدار إليها واضعاً يديه في جيبيه وكأنه يتحكم فيهمايمنعهما من أن تقوما بشيء ما لم تشأ هي ان تضعه في اعتبارها.

قال وعيناه تنفثان لهباً: «حسناً، انك تريدين ان تعرفي. سأخبرك إذن، لقد قتلت رجلاً، وقد اسمت عناوين الصحف ذلك جريمة قتل.»

الفصل السادس

وببطء بالغ، زال التصلب من جسد انجيلا، وعادت تغوص بين وسائد الأريكة. وأخذت تتأمل فك رايان المتصلب، والتحدي شبه الغاضب في عينيه. وتناهى إلى مسمعها صوت رفيف اجنحة حشرة طائرة على زجاج النافذة، والهدير الخفيف من الثلاجة. ومضت لحظات لم تستطع فيها النطق. وأخيراً، عادت تنظر في عيني رايان لترى فيهما نظرة تتحدى الألم.

في تلك اللحظة، تلاشى الذعر الذي تملكها عقب تصريحه ذاك، وأخيراً قالت: «لماذا؟ ايمكنك ان تخبرني بالسبب؟»

فضحك بخشونة وهو يقول: «بعد عشرين عاماً؟ كلا، فهذا كان ينبغي ان يحدث في وقته ذاك.»

فقالت: «كان ينبغي ان يحدث؟» هل قال ذلك حقاً؟ هل هو حقاً يقلل من شأن جريمة قتل إلى اعتبارها نزوة طارئة، كلا، كلا. طبعاً لم يكن يعني هذا. وانما كان فقط يريد ان يخفف من جرمه، ومحاولاً اخفاء مشاعره عن الآخرين، كعادته على الدوام. وربما حتى عن نفسه.

خاصة وهو يخفيها عنها هي بكل اصرار.

تنهدت انجيلا، فلم تكن ثمة فائدة من الالحاح عليه. وأحست بأنه مهما كان الذي حدث في ماضيه فقد ترك في نفسه أثار جراح هي أعمق كثيراً من تلك التي على جلده. وقالت تطمئنه: «لا بأس. ليس عليك ان تخبرني.»

فهز كتفيه وهو يركز نظراته على المدفأة الفارغة، قائلاً: «اعلم ذلك، وهذا لا يعني انه ليس بامكانك ان تعرفي الحقيقة اذا شئت من اي مصدر كان.»

فسألته بهدوء: «ولِمَ هذا؟»

حوّل وجهه إليها يرمقها بنظرة غامضة، ثم عاد ينظر بعيداً مرة اخرى وهو يقول: «انها ثرثرة الناس، وهل هناك غير هذا؟ انها هي وسائل الاتصال المفضلة بين اهالي كاليه كوف.»

قطبت انجيلا جبينها وقد ادركت انه قد ابتعد بذهنه عنها وكأنه قد ترك الغرفة تقريباً. وقالت: «آه... رايان، ان الثرثرة، عندما تصل اليك، لا تعود مرغوبة، ربما لأن الناس هنا يحبون ويحترمون أباك كثيراً.»

فأجاب: «يحبون ويحترمون؟ تعنين انهم يشعرون بالأسف لأجله؟» واستدار، ثم تقدم نحو المدفأة. وأخذت هي تراقبه وهو يلتقط قضيب تحريك النار ويبدأ بوزنه بيده.

قالت وهي ترمق سلاحه هذا بحذر: «ربما.»

وضعه من يده فجأة، فأحدث قرقعة في الموقد، وهو يقول: «لا بأس.» واستند على زاوية رف الموقد، وهو يتابع: «اتريدين ان تعرفي التفاصيل؟ انك لن تصلي إليها. ويكفي ان تعلمي انني كنت فتى غبياً في الثامنة عشرة، ومنبعاً لقلق لا ينتهي لأبي، وهذا كان هدفي بالضبط في تلك الأيام... ثم انخرطت بمجموعة من الفتيان المنحرفين. واصبحت معروفاً لدى الشرطة. فاذا صادف وجود جثة خارج صالة سينما في سيتل، وصادف ان كنت أنا هناك

بجانب الجثة حاملاً سكيناً، فليس من الصعب عليهم جمع واحد مع واحد.»

أخذت تفكر وقد دار رأسها. ثمة شيء مفقود بل أشياء كثيرة. ذلك انها، في اعماقها، لم تكن تصدق ان رايان كان قاتلاً.

سألته: «وهل كانت الشرطة على حق؟ هل قتلته؟»

فأجاب: «هذا هو المفروض. لقد قرر المحلفون بأنني مذنب. والجريمة هي قتل عن غير عمد.»

قالت: «انك اذن، لم تكن تقصد قتله؟»

أجاب: «يا عزيزتي انجيلا، انني لم اعد أعلم ما الذي كنت أقصده. فلم يكن هناك وقت كاف لكي ازن الأمور، إلى ان اصبح عندي ثلاث سنوات للتفكير في ذلك، وأنا لا أنوي ان امضي اكثر من ذلك من حياتي في محاولة اعادة النظر بما حدث وانتهى، والآن هل بالامكان تغيير الموضوع، ام انك تفضلين ان اخرج؟»

حاولت انجيلا ان تلقي بانظارها بعيداً. ولاحظت على نحو غامض، ان فمه كان صلباً كجسده، فعلمت انه، حتى وهو يحاول ان يقنعها بأن الماضي قد انتهى فهو لم يكن نفسه، ليصدق ذلك. هذا لأن الماضي لم ينته. ولن يكون ذلك ابداً بالنسبة إليه. وعلمت ايضاً انها اذا هي طلبت منه الخروج فهو سيتركها، وربما إلى الأبد.

ومهما يكن الذي سبق وقام به، فليس بامكانها ان تدعه يخرج، ليس الآن، ليس بعد أن احيت اسئلتها جراحه القديمة.

قالت محاولة الابتسام دون نجاح تام: «نعم، يمكننا

تغيير الموضوع طبعاً. اخبرني ما الذي جعلك تصمم على تعلم الحقوق؟ و...» وسكتت لم يكن في هذا اي تغيير للموضوع. اذ ليس من السهل على مجرم مدان ان يقبله القضاء محامياً في ولاية واشنطن.

ولوى رايان فمه قائلاً: «ماذا جرى؟ الا يمكنك تقبل فكرة ان يستحيل نزيل السجون إلى مواطن صالح؟ ثم علي ان اضيف فأقول إلى عضو محترم في مجلس القضاء؟» وألقى برأسه إلى الخلف وكأنه يتحداها ان تجرؤ على تحدي نجاحه.

أخذت انجيلا تعبث بقلادتها وهي تقول: «انني... كلا، ليس الأمر هكذا. حسناً، لا بد أن الأمر كان صعباً. اعني...» وتلاشى صوتها بعد ان لم تجد طريقة لبقة تسأل بها هذا الرجل الذي تملأه المرارة والسخرية، كيف استطاع أن يقنع مجلس القضاء بأن فتى منحرفاً يستعمل السكين، يمكن ان يستحيل، كما قال هو نفسه، إلى محام محترم.

قال رايان بحدة يفسر ترددها: «نعم، لقد كان الأمر صعباً. ولكن، بما ان قضية مثل قضيتي تعتبر فردية، فقد كان بامكاني اقناع من يهمه الأمر، بأن في امكاني ان اصبح ذا فائدة للمهنة... وأن قناعتي هي في تطبيق احكام القانون. هل يرضي هذا حسك تجاه اصول السلوك؟»

أمكن انجيلا ان تحافظ على هدوء اعصابها بجهد بالغ لتقول: «وهل كان ذلك تطبيقاً لأحكام القانون؟»

هز كتفيه يجيبها: «من الناحية العملية، نعم. ولهذا اظنك ترين ان هذا يجعل كل شيء على ما يرام.»

فقالت وهي تجذب نفساً عميقاً: «كلا. بل من المؤكد أن

هذا لا يجعل كل شيء على ما يرام. خلافاً للتحيّز الشعبي الذي يبدو انك تقره انت ايضاً، فهناك بعض المحامين يلاحقون سير العدالة بدقة، وليس الظلم. وأنا واحدة منهم.»

شعرت بسرور غامض وهي ترى جفنيه ينخفضان ويغطيان عينيه، لحظة، وعندما عاد ينظر اليها كانت على شفتيه شبه ابتسامة وهو يقول: «هذا شيء مؤثر، يا سيدة بادينغلي. اعتقد انني استحققت ذلك. ولكن لا تقلقي كثيراً بالنسبة لهذا، فأنا لم اكن طفلاً بريئاً ساذجاً.»

فقالت: «ولكنك بريء من... تعمد القتل.»

قال: «تعمد؟ نعم، لم يكن الأمر متعمداً، ولكن ذلك كان منتظراً بالنسبة للطريقة التي كنت اعيش فيها حياتي. ولكن ليس متعمداً. فقد كان من الممكن جداً ان تكون الجثة التي كانت على الأرض هي جثتي أنا.»

اغمضت انجيلا عينيها، لم تستطع ان تحتمل صورة رايان ملقى على رصيف قذر وقد انسلت منه الروح. وعندما احست انه لن يخبرها عن ذلك اكثر مما قال، عادت إلى موضوع مهنته، وقالت ببطء: «لا بد انهم اطلعوا على ملفات محاكمتك، أو لعلهم وجدوا بعض الشواهد في مصلحتك. إذا كنت بريئاً يا رايان، لماذا لم يحاولوا اثبات براءتك للعموم، اذن؟»

أجاب: «ولماذا؟ هنالك درجات للبراءة. وعلى كل حال، كان الضرر قد وقع وانتهى الأمر.» وادار ظهره إليها واسند مرفقه على رف المدفأة، ثم اراح جبهته على قبضته، وعندما عاد إلى الكلام، كان صوته غير متزن. قال: «لقد

خسرت ثلاث سنوات من حياتي يا انجيلا. ولم استطع ان استعيدها، ولم يكن في نيتي ان اخسر اياً من سنوات حياتي التي بقيت لي، في مناوءة النظام، ولو كان ذلك بصفتي المدعي. ان لي حياة علي ان اعيشها. هذا إلى أن الناس الذين يهمهم الأمر قرروا، اخيراً، أنني اقول الحقيقة.»

خرجت الكلمات الأخيرة من فمه بقوة وكأنه يقسم يميناً.

قالت: «ولكن، كان عليك ان تنال تعويضاً، او مبلغاً ما بأي شكل...»

فأجاب: «لكي ارى اسمي يتصدر الصحف مرة اخرى؟ ما يشكل مزيداً من التسلية لأهالي كاليه كوف. مثلاً؟ هل سمعت برايان كونيسكي ذاك يا عزيزتي؟ لقد ذكرت اسمه الأخبار هذا الصباح، فهو يحاول ان يجعل الناس يظنون انه لم يقم بفعلته تلك... طبعاً، نحن جميعاً نعلم الحقيقة، اليس كذلك؟ يالهاري العزيز المسكين...» واستدار مرة اخرى يخبط بقدمه على حاجز المدفأة بعنف، وهو يستطرد قائلاً: «اعطني سبباً واحداً يحملني على ان اضع نفسي، او حتى ابي الذي لم يتكلم معي طيلة الثلاث سنوات التي امضيتها في السجن، في مثل ذلك العذاب. كان بامكاني ان اكون رابحاً لو قمت بذلك. ولكن السجن لم ينجح في تحطيم شعوري بالكرامة. لم أكن بحاجة إلى مال، يا انجيلا، فعندما كنت في السجن، دخلت في سن الرشد، وصار من حقي استلام المبلغ المالي الذي كانت والدتي قد تركته لي. ومن ثم، كان كل ما يهمني هو ان انفذ ما فكرت فيه بالنسبة لحياتي.»

قالت انجيلا: «نعم، نعم، اظنني فهمت.» رأت في عينيه من الألم والكبرياء ما تمنت معه لو تركض اليه وتأخذه بين

ذراعيها تمحو عنه احزانه، لقد كان في امكانها ان تتصور ردة الفعل لديه لو انها حاولت ذلك. وعادت تقول وكأن خاطراً قد انبثق في ذهنها: «لقد اردت ان تساعد الآخرين، اليس كذلك؟ تساعد اناساً مثل روبين.»

لمعت عينا رايان وهو يقول: «احقاً فعلت هذا؟» وقبض يده ثم قربها من وجهه يتفحص اظافره وكأنه اهتماماً مفاجئاً ساوره نحوها، وهو يستطرد قائلاً: «اذن فانت تعتقدين انني كنت مدفوعاً برغبة ضالة في أن اجنب روبين نفس الغلطة التي وقعت أنا فيها، يا لي من شخص يغار على الآخرين.»

وشعرت انجيلا بأن رايان يصعب عليه الاعتراف باهتمامه بالآخرين، وليس فقط خليفته في قفص الاتهام، وأمكنها ان تدرك كيف أن السجن قد يضع مثل هذا الشعور في رجل. وقالت: «انها ليست رغبة ضالة، بل هي تدعو إلى الاعجاب و...»

فقاطعها قائلاً: «انها شهامة سخيفة، يا انجيلا، لقد كان عندي اكثر من سبب لتعاطي المحاماة. اولاً، لامضاء الوقت، وكذلك السبب الآخر او السببان.»

وتحرك فجأة، ثم اقبل ووقف امامها، متابعاً: «حسناً، والآن وقد سمعت قصة الفتى المجرم، اتشعرين بأن معرفتك بي قد اصبحت كافية؟»

ازدردت انجيلا ريقها. من المؤكد انها لم تسمع القصة باكملها. مازال هناك الكثير لم يخبرها به. ولكنها كانت اكثر حكمة من أن تسأله، كافية لماذا؟

لكنها قالت بهدوء: «كلا، ولا اظنني سأشعر بذلك ابداً.»

قال: «فهمت. والآن، فان محامية كاليه كوف المستقيمة القوية لا ينبغي ان يراها الناس مع صديق من طبقة المجرمين. هذا امر عقلاني تماماً. فضلاً عن انك لا تعرفين متى افكر في التخلص منك، اليس كذلك؟»

وجدت انجيلا، التي كانت احست بمشاعرها تتمزق وتسحق لأجله، نفسها تصعق من قسوة هذا الحكم عليها. وقالت: «كلا، ليست المسألة بهذا الشكل على الاطلاق. رايان، انني ما زلت لا اعرف السبب الذي جعلك تفعل ما فعلت، او حتى اذا كنت اقترفت ذلك فعلاً...»

قال: «اشكرك لكل هذا.»

«ارجوك ان لا تسخر مني، فالمسألة هي انني لا اريد ان تكون علاقتي بك ليوم واحد فقط...»

فقال: «هذا عظيم سنجعل المسألة تستغرق العطلة الأسبوعية.»

كان يعتمد اثارة غيظها، وكانت متأكدة من هذا. ولكن، لماذا؟ ربما كانت رغبته في مضايقتها نابعة عن رغبته في اخفاء مشاعره الحقيقية.

شبكت يديها ووضعتهما بين ركبتيها. هل هي تريده حقاً؟ واذا كان ذلك فعلاً، لمَ لا تخبره بذلك؟

ولكن كلا، لا يمكنها ان تفعل هذا، حتى انه ليس في امكانها التفكير في ذلك، لأنها اذا هي منحته الفرصة لينال ما يريد، فان في امكانه ان يحطم مسيرة حياتها المنتظمة دون اي ادراك منه لما يفعل. وأثناء ذلك قد يحطمها هي ايضاً. ولم تكن تعرف ما الذي جعلها تتأكد من ذلك. ولكن، هذا ما كانت تعرفه.

وبعد برهة، رفعت رأسها وأرغمت نفسها على مقابلة التحدي الذي بدا في عينيه.

قالت بصوت لم يكن ثابتاً تماماً: «لا يمكنني أن افعل ذلك معك.»

فأجاب: «ليس هذا ما كان يجول في ذهني. ولا في ذهنك انت ايضاً.»

كان يتحدث ببساطة وكأن الموضع عبارة عن نكتة، ولكن البرودة التي شعرت بها في اوصالها، كانت تشكل مثل الضباب المثلج يغمر قلبها.

ارتجفت وهي تقف على قدميها محاولة ان تقترب منه ثم قالت: «اعلم ذلك ولكنني لا استطيع القيام بما في ذهنك. انني... انني لا اريد ان...»

فقال: «كاذبة.»

أحست بهذه الكلمة التي تمتم بها، وكأنها صفعة على وجهها، ورفعت يدها إلى خدها دون وعي وهي تهز رأسها بعنف: «كلا، انك لا تفهم، وكيف لك هذا عندما لا افهم الأمر أنا نفسي؟» واندفعت تتجاوزه خارجة بشكل اعمى دون ان تعي إلى اين هي ذاهبة أو ما الذي تنوي عمله، ولكن قبل ان تصل إلى الباب، كان قد قبض على ذراعها وجذبها يعيدها إلى الغرفة، وهو يقول: «ما هذا؟ انه بيتك. تذكري هذا، فلا يمكنك ان تهربي مني يا انجيلا.»

وقفت وهي تقول: «انني لا اهرب منك.» بينما كانت هي هاربة فعلاً من رايان.

قالت وهي تأخذ نفساً عميقاً، ثم تنظر في عينيه مباشرة: «لا بأس، لن اهرب، ولكن كيف استطيع اقناعك بأنني لا أفعل هذا بشكل عارض؟»

فقال: «يمكنك ذلك بأن تبدأي بسكب فنجان قهوة لي...»

ونظرت اليه بحيرة، هل هو جاد في كلامه؟ ولماذا هذا الانتقال من كل ذلك التشدد، إلى مثل هذا الهزل؟

قالت وهي ترتجف: «ربما القهوة قد بردت.»

فهز كتفيه قائلاً: «لقد جربت في حياتي ما هو اسوأ من القهوة الباردة، فلماذا لا تفعلين ما يقال لك؟ وبعد ذلك تجلسين على تلك الاريكة، ثم تخبرينني بالضبط لماذا كل هذا القماش البنفسجي المكشكش الذي تغطين به الأريكة هذه؟»

امتثلت انجيلا لطلبه، وقد اعجبها عزمه هذا، ولكن الرجل المسالم هو افضل كثيراً من رجل خشن اللسان كثير الجدل. وعندما كانت تسكب القهوة، التي وجدتها فاترة، خطر في ذهنها انه مضى وقت طويل منذ كان يأمرها رجل بما عليها ان تفعل، ثم يجعلها تقوم بذلك. وليس معنى هذا أن رايان قد فعل ذلك بالضبط، ولكن معنى هذا ان رايان اعتاد أن ينال ما يريد دون جهد ملحوظ.

قال رايان وهو يجرع قهوته مرة واحدة: «والآن علينا نحن الاثنين تسوية بعض الأمور.»

ظلت صامتة وهي تعبث بقلادتها بقلق، وقد بدت، في ضوء المصباح الموضوع على المنضدة، بلون الدم. وتمنت لو يفارقها هذا الشعور الجارف بأن تتخلل شعره الذهبي القاتم باصابعها...

قال: «في بعض الأحيان، يا عزيزتي انجيلا، تبدين لي عنيدة صلبة إلى حد لعين، حتى انني اود ان اهزك هزاً. ولكنني، لسوء الحظ، اشعر بالاعجاب نحوك، وهذا شعور متبادل كما اخبرتني بنفسك، وهكذا...»

قاطعته قائلة: «وهكذا لماذا أنا صعبة إلى هذا الحد، فلا اركض اليك لألقي بنفسي بين ذراعيك؟ اليس هذا ما تريد قوله؟»

لوى فمه بشكل جذاب وهو يجيب: «انه شيء كهذا.» وأضاف: «هل لك في أن تقفلي فمك وتستمعي إلي لعدة لحظات، يا انجيلا؟ انني اريد ان اسألك لماذا امرأة جذابة ذكية طبيعية الميول مثلك تتصرف كمراهقة جفلى؟ من الواضح انني تعلمت كيف اعيش مع ماضي، ولكن اذا كنت لا تتقبلينه... صدقيني فهذه لن تكون المرة الأولى...»

فقاطعته انجيلا بسرعة: «ليس الأمر هكذا.»

كلا، هذا غير صحيح، حتى ولو انه لم يخبرها بالقصة باكملها. ذلك انها، مهما كان الذي فعله رايان، لا يمكنها أن تصدق انه، في اعماقه، رجلاً مجرماً. وتابعت بعد برهة تقول: «كما انني لست مراهقة ولا جفلى.»

فقال: «حسناً، اذن؟»

اغمضت انجيلا عينيها وهي تحني رأسها على صدرها، فهي لا تستطيع التفكير بوضوح عندما يكون رايان قريباً منها إلى هذا الحد، يحدق فيها مباشرة بعينيه الثاقبتين.

تابع بلهجة قاسية حتى لم يعد بامكانها تحويل نظرها بعيداً: «استمري.»

قالت: «المسألة هي فقط...» وحاولت أن تجد الكلمات التي تخبره بها... تخبره بها عن ماذا؟ عن انها راضية بحياتها كما هي؟ وان حياتها هذه مليئة على الدوام بالعمل والسرور، وهذا ما يحملها على عدم تغييرها؟ كلا، ليس بامكانها ان تخبره بذلك. ذلك انه ليس صحيحاً. فهو منذ

مدة، لم يعد صحيحاً. حتى قبل ان تعرف رايان، ابتدأت تشعر بشيء من القلق وعدم الاستقرار، وقد تملكها حدس بأن الوقت قد حان لتغيير حياتها.

اغمضت عينيها. هل من الممكن انها هي، انجيلا بادينغلي، بعد اثنتي عشرة سنة من حياة العزوبية المريحة الهانئة، تصبح هدفاً لسهام الحب؟ كانت متأكدة من ان هذا لا يمكن ان يحدث. ولا يجب ان يحدث مع رجل مثل رايان.

فتحت عينيها مرة اخرى. كان هو يراقبها وقد عقد ما بين حاجبيه، وعمقت الخطوط حول فمه. كان جلده اسمر ذهبياً مشدوداً ما بدا مستغرباً بالنسبة إلى رجل امضى معظم اوقاته بين الجدران.

قال لها: «حسناً؟»

فقالت: «لا ادري.» وجالت بانظارها حولها دون معنى تفتش عن جواب كانت تعلم انه موجود فقط في قلبها. وقالت: «صحيح ان ميولي هي طبيعية... ولكنني لا اريد مشكلة في حياتي. وعندما اسقطت امامك تلك الجاكت كنت فقط امزح...»

فتمتم وهو يستند بظهره إلى مسند الأريكة: «كنت تمزحين، ولكن معك حق، فأنا مشكلة.»

نظر في عينيها مباشرة، ثم ابتسم لها متحدياً، ما جعلها تغرز اظافرها في الوسائد.

ولكن، بينما كانت تكافح للعثور على كلمات تقولها، اذا به يقف على قدميه دون انذار وهو يقول بلهجة واقعية: «حسناً، هذا هو الأمر اذن؟ شكراً للقهوة.»

فحدقت فيه غير مصدقة، كان ثمة شيء في نظراته

الهادئة تخالف ما يبدو عليه من عدم اكتراث. وعندما تحرك متجهاً نحو الباب، ادركت هي ان ليس بامكانها ان تدعه يذهب، خصوصاً على هذا النحو، وقالت: «رايان، انتظر.»

فوقف برهة وما زال مديراً ظهره اليها، ثم استدار ببطء يحدق في عينيها. وبعد فترة هز رأسه قائلاً:

«ما بك يا انجيلا؟ دعي ما بقي عندك من عقل يصمم على شيء.» وتمتمت قائلة: «ليس ثمة خطأ في عقلي. كل ما في الأمر هو انني لا اريد ان يحدث هذا... انك، انك تريد ان تدخل حياتي في الوقت الذي ما ازال اعتبرك فيه متغطرساً احمق.»

فأجاب: «لم يحدث شيء بعد، وأنا فعلاً، احمق متغطرس، ومن الأفضل لك ان لا تنسي هذا.»

ربما هي مجنونة، ولكنها لا تستطيع المقاومة، ذلك انها شعرت بشكل مفاجيء بأن ايامها المستقرة في حياتها الهادئة، لم تكن في الحقيقة مستقرة كما كانت تفكر.

ولكنها ما لبثت ان شعرت به يتنفس بعمق، وكأنه يرغم نفسه على تمالك مشاعره، لماذا؟

رفعت ناظريها اليه هامسة: «رايان؟» وأرجع رأسه إلى الخلف، وأخذ يحدق بها لفترة طويلة، متفرساً في ملامح وجهها بكل دقة إلى درجة جعلته يميل وجهها نحو النور ليتمكن من ذلك.

قال لها بخشونة: «لقد كان الحق معك في البداية. كان علي ان ارى ما الذي كان يحدث. لم تكوني انت مراهقة جفلى، بل كنت عاقلة، تفضلين الابتعاد عن المشكلات، وهذا بالنسبة اليك اكثر منه بالنسبة الي.»

فقالت وهي تنظر إليه: «اظنني غيرت رأيي بالنسبة للتعقل.»

قال: «كلا.» وتفجرت هذه الكلمة منه كالقنبلة، وشعرت انجيلا بقلبها يهوي من مكانه، وهمست: «ما هذا؟ كنت اظن... كنت اظن ان هذا ما تريده انت؟»

فأجاب: «لقد كان ذلك.» وتوترت ملامحه، وبدت في عينيه قسوة جعلت انجيلا تعتقد، لأول مرة انه لا بد كان قادراً على الاجرام. وتابع قائلاً: «ولكنه لم يعد الآن.» ولاحت على شفتيه ابتسامة ملتوية، ولمس خدها بقبضة يده وهو يستطرد: «من حسن حظك ان نجوت هذه المرة. ليلة سعيدة يا عزيزتي انجيلا.»

صرخت في أثره، وهو يبتعد عنها: «رايان، اياك ان تدعوني عزيزتك بعد الآن... ثم اسمع، لقد سبق وتفوهت أنا بأشياء لم اكن اعنيها، ولكن...»

فوقف ليجيبها قائلاً: «ليس هناك كلمة لكن.»

وعندما نظر اليها من فوق كتفه، لم تستطع ان تتبين في عينيه اي اثر للمشاعر وهو يستطرد قائلاً: «انك يا انجيلا، قليلة الفطنة بالنسبة إلى امرأة ناضجة.»

فقالت: «آه، بعد كل...» وسكتت.

لقد كان الحق مع رايان في هذا على الأقل. فقد كانت تعلم، طيلة الوقت، ان اذعانها له لا يمكن ان يجلب اليها سوى التعاسة.

تصورت نفسها، هي انجيلا بادينغلي العاقلة قد احتاجت إلى رايان كونيسكي لينقذها من مصير هو اسوأ من الموت. هذا المصير، كما اعترفت بنفسها، هو ان تصبح حياتها

العادية الهادئة في كاليه كوف غير قابلة للاستمرار. فقد سبق وتملكها شعور بانها بعد رايان، ستفقد الهدوء والاستقرار، وذلك بعد تلك الحيوية والانتعاش...

تنفست بعمق، وحدقت في الرجل الذي كان يقف الآن قرب الباب. تحرك آل في قفصه، وزعقت بومة في اعماق الليل، وحامت على شفتي رايان ابتسامة لحظة، ثم اختفت. كانت ابتسامة غريبة بدا فيها ندم مر لم تستطع ان تفهمه. وأخذت تنظر اليه دون ان تنبس بكلمة، ثم، بعد برهة، تمتم بشيء ليعود بعدها إلى الغرفة، ويقبل يديها ثم يتركها.

أغمضت انجيلا عينيها وهي ترجو انه قد يستحيل هذا الكابوس، بشكل ما، إلى حلم، ولكنها، بعد ذلك بلحظة، سمعت الباب الخارجي يغلق برقة، وتبع ذلك صوت خطوات رايان على الممر المرصوف بالحصى.

وعندما وصلت إلى مدخل المنزل، كانت انوار سيارة رايان الخلفية تتوارى في الطريق العام.

قالت انجيلا باسمة: «مرحباً يا شارلوت ما ألطف هذه الدعوة منك، كيف حال هاري؟»

أجابت شارلوت: «ان صحة هاري تتحسن باستمرار يا عزيزتي، وقد خرج الآن يساعد روبين في العثور على سكن له. تفضلي وتناولي كوب الشاي هذا الذي سبق ووعدتك به. لقد صنعت قالب الكيك بالليمون لأجلك خاصة.»

وتبعت انجيلا شارلوت إلى غرفة الجلوس، مذكرة نفسها بأن عليها ان لا تتذكر اخر مرة كانت فيها هنا. يجب ان لا تفكر في رايان ابداً. وما كانت لتحضر في هذا اليوم، لو لم تتصل بها شارلوت هاتفياً مصرة على أن تقدم اليها

الشاي الذي لم يقدمه رايان لها في ذلك اليوم المشهود. وها هو ذا الآن قد عاد إلى سيتل، بينما عادت هي إلى بيت ابيه هذا الذي يحوي كثيراً من الذكريات.

وخاطبت نفسها، كفى هذا يا انجيلا... وابتسمت لشارلوت تسألها ان كان الوقت قد حان ليبدأ المطر بالنزول.

أجابت شارلوت وهي مشغولة بتقطيع قالب الكيك: «نعم يا عزيزتي، ولكن الجو كان رائعاً ليلة الحفلة، الا تظنين ذلك؟ من الصعب ان يفكر المرء انه قد مر اسبوع على تلك الحفلة.»

أجابت انجيلا: «نعم، فالوقت يمر بسرعة.» انه يزحف حقاً، فكرت انجيلا بذلك بأسى، وهي تستعرض تلك الحفلة ونتائجها، متأملة. من المؤكد، ان تلك الليلة لم تكن اكثر من لحظة من جنون الصيف مرت ومضت. واحياناً كانت تتساءل عما اذا كانت مغرمة برايان كونيسكي، ولكنها، في لحظات التعقل، كانت تعلم ان ذلك لا يمكن ان يكون. ولماذا يكون، فهي لا تكاد تعرفه. وعلى كل حال، ما هو الحب الذي يكون نتيجة الاعجاب الذي يجعل رجلاً وامرأة احمقين يبحثان عن رفيق؟ لقد وصل رايان إلى تلك النتيجة منذ مدة طويلة. وكان هذا هو التفسير الوحيد الذي استطاعت الوصول اليه لتركه المفاجيء لها، لا بد انه قرأ مشاعرها في عينيها ليدرك منها ان السويعات التي سيمضيها معها سرعان ما تصبح عليه عبئاً ثقيلاً فيما بعد.

ولكن، لو لم تكن تحبه، فلماذا اذن، اصبحت حياتها التي كانت مليئة مطمئنة، كئيبة موحشة لا معنى لها؟ ولماذا

اصبحت تدور في انحاء المكتب باكتئاب، او كما وصفها روبين مثل ثمرة ملفوف باقية منذ اسبوع مضى؟

سكبت شارلوت الشاي، وهي تربت على شعرها، ثم سألتها بلطف: «هل استمتعت بالرقص يا عزيزتي؟»

أجابت: «نعم، جداً.»

وتنحنحت مضيفتها وهي تقول: «أظن أن ابن اخي قد استمتع به هو ايضاً. لقد كان امضى وقتاً صعباً حقاً. تعلمين ذلك.»

أجابت انجيلا: «نعم سمعت بذلك.»

فقالت شارلوت وقد بدا عليها الارتباك: «آه.» ثم اشرق وجهها وهي تقول بحزم: «ولكنه فتى ممتاز حقاً.»

أجابت انجيلا: «نعم.» وفكرت، إلى متى يستمر هذا الحديث؟ وما الذي كانت عمته تهدف اليه؟ وما هي الفائدة التي تتوقعها من اصرارها على ذكر ابن اخيها وحفلة الرقص؟ وألقت انجيلا نظرة في انحاء الغرفة تفتش عن شيء تتحدث عنه لا يكون له صله برايان.

تمتمت وهي تشير إلى حاملة للمظلات بشكل رصاصة نحاسية قائمة بجانب النافذة: «انها حاملة مظلات جميلة.»

قالت شارلوت: «ماذا؟ آه، لقد اشتراها اخي من مزاد علني في سيتل. اظنها تمثل دماغ رجل. ولكن رايان قال انها تمثل الجهاز الهضمي...»

أوشكت انجيلا ان تضحك، ولكنها عادت فسكتت وقد تذكرت ان رايان كان لديه القدرة دائماً على ان يجعلها تضحك حتى في اشد اوقاته تحفظاً وجموداً. ولكنها الآن لم تحتمل التفكير فيه.

وتابعت شارلوت دون ان تعي الضيق الذي بدا في عيني ضيفتها: «ان رايان مشغول الآن بقضية لطيفة عن رفس مستخدم لرئيسه بجزمته على انفه. انه يعجبك، اليس كذلك يا عزيزتي؟»

فأجابت انجيلا: «نعم، طبعاً.» وازدردت قطعة من الكيك أتبعتها بما تبقى في كوبها من الشاي، وهي تستطرد قائلة: «لقد كان هذا لذيذاً، يا شارلوت، ولكن علي ان اذهب الآن...» واستعدت للنهوض متوقعة، تقريباً، ان تحتج مضيفتها على هذا.

ولكنها دهشت وهي ترى وجه شارلوت يشرق، بينما انظارها تتوجه إلى خارج النافذة. وعندما ادارت انجيلا وجهها، سمعت صوت سيارة تقف في الطريق امام المنزل. لا بد أن هاري وروبين قد عادا.

ولكن، لا هاري ولا روبين من دخل من الباب بعد لحظات ليصعقها في مكانها بنظرة قاسية من عينيه الرماديتين.

لقد كان رايان، وكان يحمل حقيبة سفر، ويرتدي بنطالاً وقميصاً قطنياً أبيض اللون، وبدا عليه تماماً انه في سبيل قضاء عطلة نهاية الأسبوع.

الفصل السابع

أمسكت انجيلا بطبقها الذي كاد أن يسقط على تنورتها الصيفية الوردية ومن ثم على السجادة وفتحت فاها، ثم عادت فأطبقته بعد أن لم يصدر منه صوت.

وضع رايان حقيبته على الأرض وهو يقول: «مرحباً يا انجيلا، مرحباً عمتي شارلوت.» واجتاز الغرفة ليقبل عمته، وهو يتابع قائلاً: «أرى انك صنعت الكيك الاسفنجي بالليمون الذي أحبه.»

فأجابت: «نعم يا عزيزي، لقد صنعته لأجل انجيلا. ولكنني كنت اتمنى لو تحضر إلى هنا وقت تناول الشاي.»

ضاقت عينا رايان وهو يقول: «كنت تتمنين؟ ولكنك كنت تعلمين يا عمتي شارلوت أنني سأكون هنا، بعد أن اخبرتني بأنك قلقة على صحة أبي؟»

فأجابت: «نعم، حسناً يا عزيزي. لقد بدا أبوك شاحب الوجه هذا الصباح، وأنا أعلم ان وجودك ينعشه.»

جلس رايان على أول مقعد رآه، وهو كرسي حمراء بذراعين خشبيتين منحوتتين بشكل المخالب، ثم قال: «عمتي شارلوت... هل تريدين ان تخبريني بأنك جعلتني اغير برنامج اعمالي في وسط القضية التي أدرسها، لأقطع كل هذه المسافة إلى هنا، لا لشيء سوى أن أبي بدا عليه الشحوب؟»

أجابت شارلوت وهي ترمق انجيلا بنظرة ذات معنى:

«من المستحسن أن تبتعد عن العمل قليلاً يا عزيزي.»

تتبع رايان نظراتها إلى حيث كانت تشير ليواجه نظرات انجيلا الجامدة وفمها المتوتر. وبدا ان المعرفة او جزءاً منها، قد سقطت عليهما، هما الاثنين في نفس اللحظة.

وقالت انجيلا: «شارلوت، هل...»

فقاطعها رايان: «هل هي فكرتك يا أنجيلا...؟»

فأجابت انجيلا وهي تهب واقفة: «هذا ليس صحيحاً. اشكرك يا شارلوت. لقد كان الكيك لذيذاً. وداعاً يا رايان وأتمنى لك عطلة اسبوعية سعيدة.» واستدارت على عقبيها متجاهلة تمتمة مضيفتها المضطربة، ثم هربت من الغرفة.

تأوهت انجيلا وهي تقول بصوت مسموع، (آه يا شارلوت، لماذا فعلت هذا؟) وكانت حصاة قد انطلقت من تحت قدميها في الممر لتصيبها في ساقها. وتابعت تقول: «انني اعرف ان نيتك كانت طيبة ولكن...» وابتلعت بقية الجملة عندما رأت موظفة مكتب البريد مولي براكن تنظر إليها بفضول من الناحية الأخرى للشارع.

آه، طبعاً كانت نية عمة رايان طيبة. وتخللت شعرها بأصابعها بذهول. ان شارلوت تحب ابن أخيها، ويبدو ان فكرة حمقاء تملكتها وهي أنه بحاجة إلى شريكة لحياته. ولكن أن تستدعيه من سيتل بعذر ملفق عن صحة أبيه هاري. وتتدبر أمر الاجتماع بينها وبينه وكأنه صدفة حول كيك الليمون... كل هذا كان كثيراً. لقد غضب رايان، ولو أنه حاول أن لا يظهر ذلك. أما هي... لقد كاد هذا ان يحطمها...

عندما استقرت في مقعد القيادة، شعرت بأن ثمة خطأ ما في السيارة.

خرجت مرة أخرى وانحنت تنظر إلى العجلة الأمامية من ناحية اليسار.

كانت العجلة هابطة. هابطة بشكل لم تعد تنفع فيه بشيء.

وتمتمت وهي تعض شفتها. ألا يكفيها ما حدث لها من سوء حتى الآن، لكي تجعل من نفسها عرضة لنظرات المتفرجين من الجيران؟ وكذلك رايان، هذا إذا كان ينظر إليها الآن. انها تتصور الآن ذلك الخبر في صحيفة كاليه كوف كورييه إذا كان ينقصهم الأخبار صباح الغد، ذلك الخبر يقول: محامية محلية تقوم بمحاولة فاشلة لتغيير إطار سيارتها. حسناً، ربما لن يكونوا في مثل هذه الحاجة الماسة إلى الأخبار. ورفست بوجه متجهم، العجلة الهابطة. فهي لم تكن قط ماهرة في الأشياء الميكانيكية، وإذا هي انتهت اخيراً من استبدال العجلة، فإن الشحم سيكون قد لطخها هي اكثر من الشحم الذي يلطخ السيارة. إلا إذا عادت إلى المنزل تطلب العون...

ولكنها حدثت نفسها بصوت عالٍ، بأنها لن تفعل ذلك، وعليها ان تقوم بالعمل بنفسها.

جاءها صوت رايان من خلفها يقول ببطء: «إنه تحرر يستحق الثناء. هل بإمكاني ان اراقب عملك؟»

استدارت انجيلا على عقبيها لتجده واقفاً باسترخاء كهرٍ يستند إلى عامود البوابة، وقد وضع يديه في جيبيه والتوى فمه بشكل لا يدل تماماً على السخرية، كما انه لم يكن ابتسامة. ولكن رؤيتها له هناك، واقفاً مسترخياً ببساطة يحيطه جو من اليقظة والانتباه هو جزء من شخصيته، كانت كافية لتحدث غصة في حلقها.

قالت: «كلا. لا يمكنك أن تراقبني.» وتحركت الستائر في نافذة منزل في الجانب المقابل للشارع. فاردفت عابسة: «ان جيرانك يرون كل شيء.»

فقال: «لا اشك في ذلك. هل تريدين مساعدة؟»

كانت تريد ذلك حقاً، ولكنها لم تشأ الاعتراف بذلك. فقالت: «كلا، شكراً.»

فأومأ برأسه وهو يقف بشكل اكثر استرخاء، ثم قال: «هذا حسن.»

رفعت رأسها ثم سارت نحو صندوق السيارة حيث العجلة الاحتياطية فاخرجتها. وابتدأ رايان يصفر من خلال اسنانه عندما اخرجت آلة نزع العجلات ووضعتها على الرصيف.

قالت له بحدة: «قلت لك انني لا أريدك ان تراقبني.»

فقال: «حاولي أن تمنعيني من ذلك.»

استدارت إليه ويداها على خاصرتيها، وهي تقول: «ابتعد من هنا. ألا يكفي ما سبق وفعلته؟ اتريد ان تذلني أيضاً؟»

استقام في وقفته، ولم تعد ملامحه تنبيء بالسخرية وإنما بالصرامة والجمود، وهو يقول بهدوء: «لقد عرضت عليك المساعدة، اما بالنسبة إلى اذلالك، فمن المؤكد انك انت التي فعلت ذلك بنفسك.»

قالت: «ماذا تعني؟»

فأجاب: «هذه المؤامرة البسيطة التي نسجت خيوطها. مع عمتي شارلوت.»

شهقت انجيلا، وثار ثائرها لهذه التهمة الظالمة ما جعلها ترفع يدها.

قال: «لو كنت مكانك لما فعلت هذا، فقد سبق وتعلمت درساً هو أن لا أرد الإساءة وأن ابتعد عن الأقذار.»

فتمتمت وهي تنزل يدها وتعض شفتها: «لا بد انك تفعل ذلك.» عندئذ لمحت وجه شارلوت في النافذة تنظر إليهما وقد بدا عليها القلق.

قال: «هذا أفضل. والآن...»

«والآن، أريد ان أوضح لك، أيها المتغطرس...»

فأكمل لها كلامها: «الغبي. هذا هو اللقب الذي أفضله.»

فتنفست بشدة وهي تقول غاضبة: «أريد أن أوضح لك أنه لم يكن لديّ فكرة عن قدومك إلى منزلك هذه العطلة الأسبوعية، ولو كنت أعلم، لما قبلت دعوة شارلوت.»

فهمهم: «هممم...» وظلت عيناه مدة طويلة على وجهها لا تطرفان، شعرت معها وكأنه يسمرها في مكانها. وسمعت نحلة تطن برقة في النباتات قرب البوابة.

سألته بعد برهة: «وما الذي يجعلني أخرج عن طريقي لكي...» وكانت على وشك القول، لكي اعذب نفسي، ولكن كرامتها لم تسمح لها بذلك.

فتابعت: «لكي أقابل رجلاً لا يريدني.»

فقال: «آه، ولكنني أريدك.» وكانت لهجته عادية.

أجابت: «بالتأكيد، ولكن عندما تشاء وإذا ناسبك ذلك. وفقط لعطلة نهاية اسبوع واحدة.»

فقال ساخراً: «او عطلتين. حسناً، دعينا نتفق على ان العمة شارلوت هي الملامة على هذا، فلننتهِ من وضع العجلة. وبعد ذلك يمكنني ان أعود إلى عملائي، بينما تعودين أنت إلى طائرك.»

فقالت بحدة: «يمكنك ان تعود إلى عملائك في هذه اللحظة، فأنا لا أريد منك عوناً.»

قال: «حسن جداً.» ورمقها بنظرة لم تعرف منها ما إذا كان يريد ان يصفعها أو يبتسم لها، ثم عاد إلى منزله دون أن يقوم بأي من هذين الأمرين.

عندما انتهت انجيلا، وصعدت إلى سيارتها بعد ذلك بنصف ساعة، كان الألم الذي كانت شعرت به عند رؤية رايان قد تحول إلى سخط. ولكنها كانت قد غيرت العجلة بنجاح بينما تلوثت تنورتها بالشحم والأقذار.

ما كان لها أن تقلق. فإن وجه رايان لم يكن في النافذة، لا، ولا وجه شارلوت، وهذا ما أدهشها.

كان يوم الاثنين في المكتب مليئاً بالعمل اكثر من العادة. خصوصاً لأنها منحت روبين نهار عطلة لينتقل بها إلى شقته. وكانت انجيلا مسرورة بزيادة العمل هذا. فقد شغل ذهنها عن رايان وذلك المشهد السخيف الذي جرى خارج منزل أبيه. هل تراه كان يضحك عليها وهي منهمكة في استبدال العجلة، إذا كان ذلك، فهي لا تلومه، فقد تقدم ليساعدها ولكنها رفضت ذلك.

لم يكن يبدو عليه أنه كان يضحك منها، كما عادت فتذكرت. كما أنها هي أيضاً لم تكن تضحك. فالألم في عينيها، والاحساس بعدم جدوى الحياة، كل ذلك لم يكن فيه ما يضحك.

وعندما اقتربت نهاية ذلك اليوم، كان جسد انجيلا ينضح عرقاً لشدة حرارة الجو، ما جعلها تتوق إلى دوش بارد طويل، وكانت متعبة أيضاً وجائعة. كانت حرارة الجو لا

تساعد على التريض، فكان كل ما تريده هو مساءً هادئاً وحدها مع الطائر آل وكتاب. والنتيجة أنها كانت أبعد شيء عن الشعور بالسرور وهي تسمع صوت باب سيارة يصفق، وصوت وقع خطوات بعد ذلك على الممر المرصوف نحو بابها، في الوقت الذي كانت فيه تزيل بقايا السلطة والجبن من على منضدة الشرفة، وكانت تتطلع إلى الاستلقاء، بعد ذلك في الضوء والبرودة في تلك النسائم العليلة.

دست قميصها المقفل تحت حزام البنطال الذي ترتديه، ثم تقدمت، مكرهة نحو الباب لتفتحه للقادم.

هتفت شارلوت: «مرحباً يا عزيزتي. انني آسفة لازعاجك. ولكنني رأيت انك ورايان كنتما غير راضيين عني ابداً ذلك النهار. وقد شعرت ان عليّ ان أوضح الأمر.»

كانت تتكلم وهي واقفة على عتبة الباب مؤرجحة رأسها علواً وانخفاضاً ما جعلها تبدو كدجاجة تشعر بالذنب نحو صغارها.

فقالت انجيلا: «ليس ثمة ما يستحق الايضاح.»

فعادت شارلوت تقول: «بل أظن أن هناك ما يستحق ذلك. هل استطيع الدخول؟»

أجابت انجيلا: «بالطبع.» ووقفت جانباً تفسح لها مجالاً لذلك، دون حماس، وأخذت تنظر إليها بوجه متجهم وهي تدخل إلى غرفة الجلوس، لتتخذ مجلسها بكل راحة، وهي تقول: «انني لن أمكث طويلاً، فلا تزعجي نفسك بصنع الشاي لأجلي.»

لم تكن انجيلا تنوي القيام بذلك. وأخذت تحدق في زائرتها تنتظر ايضاح سبب قدومها.

قالت شارلوت: «ان الأمر يتعلق برايان.»

فقالت انجيلا وهي تجلس على كرسي: «نعم.»

قالت شارلوت: «انه في الحقيقة، فتى طيب للغاية. ولكن حياته لم تكن سعيدة كما ترين.»

فقالت انجيلا: «كلا. لا أظنها كانت كذلك.»

«آه، انني لا أعني ذلك الشيء الفظيع الذي حدث... لقد ابتدأ الأمر قبل تلك الحادثة بمدة طويلة.»

سألتها انجيلا تحثها: «أي أمر؟»

أجابت شارلوت: «حسناً، كما ترين، لقد ماتت والدة رايان وهي تلده، كم كانت فتاة لطيفة، لورا تلك. ولا أظن ان أخي المسكين قد اعتبر ان ابنه يمكن ان يعوضه عن زوجته في ذلك الوقت. وفيما بعد عندما اجتاز تلك الفاجعة ابتدأ يركز كل آماله وأحلامه في رايان الصغير.» وأطلقت آهة وهي تتابع: «ولكن رايان كان صبياً عنيداً صعباً.»

فقالت انجيلا بجفاء: «يمكنني أن اتصور ذلك.»

عادت شارلوت تقول: «نعم. كان عنيداً متصلباً يعرف دوماً ما يريد. ولكن إذا ظن أن أباه قد يوافق على ما يريد، فهو يعود فيطلب العكس، أظنه كان يعلم... حسناً، كان يعلم أنه لو لم يولد، لبقيت أمه حيّة. فكان يشعر أن أباه لم يستطع نسيان ذلك. كان صبياً غاية في الذكاء. وقد اراده أبوه ان يتعلم الطب.»

تمتمت أنجيلا: «آه ان هذا يخالف طباعه.»

فسكتت شارلوت لحظة ثم عادت تقول: «انني اعرف أنه على شيء من العناد والمشاكسة أحياناً، ولكن يا عزيزتي انجيلا لم تكن الحياة حلوة بالنسبة إليه. تعلمين ذلك. ثم أنه

نشأ وقد وضع أبوه فيه آمالاً كبيرة وهذا ما حمله على الغيظ وجعله يقاوم كل ذلك وبالطريقة الوحيدة التي وجدها تبعاً لشخصيته وهي أن يرفض الامتثال لرأي أبيه. وأنا متأكدة من أن هذا كان السبب في انخراطه في مثل تلك المجموعة المنحرفة من الفتية. أما أبوه هاري لم يستطع ان يفهم... ولم يحاول ذلك.» وازدردت ريقها ثم استطردت تقول: «ثم، عندما ابتدأ رايان يقع في مشكلات مع الشرطة المحلية، ولم يكن ذلك لأمور مهمة، غسل أبوه يديه منه بدلاً من أن يحاول معرفة السبب واصلاحه. وطبعاً، إنحاز الناس الطيبون هنا في كاليه كوف إلى جانب الأب، واكثرهم اداروا ظهورهم نحو رايان أيضاً. وهكذا، انتقل رايان إلى مدينة سيتل حيث وقع في المشكلة الحقيقية.»

ابتسمت شارلوت بعصبية وهي ترسل انظارها بعيداً.

واستقامت انجيلا في جلستها وتنفست بعمق وهي تحرك كتفيها. كانت ما تزال لا تستطيع ان تفهم ما الذي يعنيها من كل هذا. ولكن مادام يعني رايان، فهي لم تستطع الادعاء، مهما حاولت بأنها لم تكن تهتم.

وتمتمت تقول: «ولكنك كنت دوماً هناك، تحاولين مساعدته، أليس كذلك؟»

فأجابت شارلوت: «لقد فعلت هذا بطبيعة الحال. فقد قمت بتربيته كما ترين. ولكن لم يكن لدي مال خاص بي، ثم عندما حان وقت المحاكمة، رفض أخي هاري ان يدفع أجرة محام. رفض أن يفعل أي شيء لأجل ابنه. كان يتألم هو أيضاً بطبيعة الحال، ولكن...»

وسكتت لتمسح عينيها بمنديل ورقي، ثم تابعت تقول:

«ولكن رايان لم ينظر إلى الأمر من هذه الناحية، بل شعر بأن أباه قد تخلى عنه في الوقت الذي كان هو بأشد الحاجة إليه، فلم يهتم به مثقال ذرة، كما قال، وهذا ما جعله يشعر بالمرارة مدة طويلة بعد ذلك.»

فقالت انجيلا: «ولكن ان يكون لدى المرء ابن متهم بذبح رجل، هو شيء يبعث على الاحباط كذلك.» ولم تعد انجيلا تعرف إلى جانب أيهما تقف. حتى انها لم تكن متأكدة من أن هذا شيء يبعث على الأهمية، وبدا لها ان لكل من الرجلين اسبابه التي تحمله على الحقد.

تابعت شارلوت كلامها قائلة: «هذا ما حدث. ولكن لو كانت اتيحت الفرصة لرايان بأن يدافع عنه محام جيد، بدلاً من ذلك المحامي الشاب المزدحم وقته بالعمل، والذي عينته له المحكمة، إذن لما كان لرايان أن ينتهي إلى السجن.»

هتفت انجيلا: «آه، هل هذا ما حدث؟ لا عجب إذن، في شعوره بكل تلك المرارة.»

فأجابت شارلوت: «ومع ذلك، فقد نسي ما فعله والده. فهو يعلم أنه، هو نفسه، كان الملام جزئياً.» نعم، هذا هو بالضبط، الانطباع الذي كانت انجيلا قد كوّنته. هذا إلى احساس قوي بأن رايان كان شديد التصلب والكبرياء بما يتعلق بمصلحته الخاصة. ذلك أن رفضه تبرئة اسمه رسمياً بينما كان بإمكانه ذلك، لم يكن سببه مجرد الكراهية لمقاومة النظام. فقد ولد محارباً، هذا إلا إذا كان هناك شيء لا تعرفه...

قالت تسأل شارلوت: «وما الذي حدث في تلك الليلة؟» كانت شبه شاعرة بالخوف من ان تسمع الجواب.

ولكن، ما كان لها أن تقلق، ذلك ان المرأة رفعت وجهها الذي كان مبللاً بالدموع، وهي تقول: «انني لست متأكدة، يا عزيزتي. فإن اخي هاري لم يسمح لي بحضور المحاكمة. كما أنه هو ايضاً لم يذهب. وهكذا كان على رايان المسكين ان يتحمل كل هذا وحده. وهو كذلك لم يتحدث عن الأمر. ولكنني اعرف ان الذنب لم يكن ذنبه. بإمكاني ان اخبرك... كلا، فقد طلب مني ان لا افعل، لأن ذلك يجعله يبدو وكأنه شهيد بينما هو مصر على أنه ليس كذلك.»

وزمت فمها، وتساءلت انجيلا عن الذي جعل رايان يتمكن من اسكات ذلك الفم المعتاد على الثرثرة.

قالت أخيراً: «لقد فهمت.» بينما لم تكن قد فهمت شيئاً في الحقيقة. وزعق الطائر آل في قفصه، فذهبت إليه تخرجه منه وتضعه على كتفها.

قالت شارلوت: «كنت متأكدة من انك ستتفهمين الأمر. لقد ابتدأ رايان يدرس الحقوق اثناء وجوده في السجن، كما تعلمين، وهو الآن لا يقبل سوى القضايا التي يتورط فيها فتيان قد اوقعوا انفسهم في مشكلات. مثل الفتى الذي يدافع عنه حالياً الذي كسر أنف رئيسه بجزمته.»

قالت انجيلا: «أوه...» وتساءلت عما دعا رايان إلى اعتبار ذلك الفتى المثالي يستحق الدفاع عنه.

قالت شارلوت: «نعم.» وفجأة تحولت إلى الهدف من حضورها لتقول: «ترين يا عزيزتي ان رايان هو بحاجة في الحقيقة، إلى من يعتني به. أعني زوجة وهذا هو السبب في دعوتي لك إلى تناول الشاي.»

استطاعت انجيلا ان تحتفظ باتزانها. إن حاجة رايان إلى

زوجة بجانبه، بقدر حاجتها إلى ثعبان أليف بجانبها هي! ولسوء الحظ، اختار الطائر آل تلك اللحظة لكي ينقر أذنها، فيعيطها الفرصة بذلك لكي تحك أذنها، قبل أن تقول وهي تشهق: «شارلوت، هل أنت تعنين أن عليّ ان اتقدم بطلب الزواج من رايان؟ ألا تدرين انه لو أردت أنا ذلك حقاً، هذا مع أنني لا أريد ذلك، فهو لن يستجيب إليّ؟»

فأجابت شارلوت: «نعم. اعتقد ذلك يا عزيزتي. فهو يصر دائماً على القيام بأموره الخاصة بنفسه. ولكنني متأكدة من اهتمامه بك، وأنا أرى أنك أنت أيضاً تهتمين به.»

أجابت وهي تتنهد: «هذا صحيح، ولكنني لا أريد الزواج يا شارلوت فأنا امرأة مطلقة سعيدة بحياتي للغاية.»

قالت شارلوت: «نعم يا عزيزتي. إنني متأكدة من انك كذلك. كما أن رايان يقول انه سعيد جداً بحياة العزوبة هذه. حسناً، بما أننا قد قررنا كل شيء الآن...»

ومنحت انجيلا ابتسامة مشرقة وكأنها قد نجحت في كل ما تريده. ثم وقفت وهي تعلن قائلة بحزم: «والآن، لقد حان الوقت حقاً، لذهابي.»

كانت انجيلا ماتزال واقفة في وسط غرفة جلوسها وهي تحملق ذاهلة، عندما سمعت الباب الخارجي يغلق. فهزت رأسها، ثم تهالكت على أقرب مقعد وفكرت هل هي شارلوت التي فقدت عقلها، أم هي نفسها؟ وبعد فترة عندما أخذ آل ينقر أذنها برفق توقفت عن القلق على نفسية شارلوت، وابتدأت تفكر في أمورها الخاصة.

لماذا تراها جلست تستمع إلى شارلوت، متعطشة إلى معرفة كل ما يتعلق بابن اخيها مما كانت تفضي به إليها

عمته المحبة؟ لقد كان الأمر كما لو أنها... آه، كلا، كلا... لقد سبق وانتهت من كل تلك الأمور، فلا يمكن أن تكون عادت فوقعت في الحب مرة أخرى بعد كل تلك السنوات، إنها لا تحب أحداً، وعلى الأخص رايان.

ولكنها وقعت في الحب طبعاً. وكان هذا ما أدركته بشكل مفاجيء، ما سبب لها الذهول والانزعاج البالغ.

وضعت أنجيلا رأسها بين يديها وهي ترتجف، ما جعل آل يتململ استياءً، هذا الحب الذي لم تلحظه وهو يتسلل إلى اعماقها. ومع ذلك فهي تعرف منذ البداية تقريباً، أنها كانت تشعر بالاعجاب نحو رايان ولكنها لم تصدق ذلك عندما رأت هذا الاعجاب يتحول تدريجياً إلى حب. ولكن شارلوت كانت قد رأت... رأت ان هناك امرأة ذات حماقة كافية لكي تجعلها، رغم تظاهرها بالعكس، تقبل بأن ترعى رجلاً لا يتقبل من تلك الرعاية قدراً اكبر مما يتقبله الأسد من حارسه. ولكن الشيء الذي لم تدركه شارلوت هو أن رايان لا يمكن أبداً ان يهتم بأي ارتباط دائم. فقد وافقته هي على ذلك من كل قلبها. لأن مجرد التفكير في انشاء علاقة جدية يعيد إليها ذكريات كلفين المؤلمة، وهذا ما يدفعها إلى الهرب، وربما هذا ما جعل شارلوت تفشل في مهمتها تلك، ولكنها مع هذا شعرت وكأنها قد أخذت لكي ترى بوابات الفردوس ليخبروها بعد ذلك بأنها لن تدخله ابداً.

التوى فم انجيلا ألماً. إن بإمكانها ان تفهم تماماً السبب في أن يعيش رايان حاضره بمثل هذه الصرامة. ذلك ان ماضيه كان من الأفضل ان يطويه النسيان. أما المستقبل....

وفي المساء التالي، علمت انجيلا جواب القسم الأول من سؤالها ذاك، وتمنت لو لم تعلم.

كانت تجلس في الشرفة تنظر إلى زهرات الشقائق تتماوج مع النسيم بين الحشائش الخضراء والتي لم تشأ ان تقصها مع الحشائش وهي بكل ذلك الجمال، عندما سمعت رنين الهاتف، فركضت إلى المطبخ لترفع السماعة. وهتف بها صوت يقول: «انجيلا؟»

وقفز قلبها بين اضلعها. من تراه يظنها؟ وأجابت بحذر: «مرحباً يا رايان.»

فقال بحدة: «ان السرور لا يبدو في صوتك.»

فقالت: «وهل ينبغي أن اكون مسرورة؟» وسادت برهة صمت وكأنه حسب ما بدا لها، كان يعد للعشرة قبل أن يتنهد ويجيب بملل: «كلا، ما دامت العمة شارلوت مشغولة بتدبير أمور حياتك، كما تفعل بحياتي. هل حدث وجاءت لرؤيتك؟»

فأجابت: «نعم. وقد اخبرتني انك حقاً فتى طيب للغاية.»

فقال: «واخبرتني انا انك فتاة حلوة وبحاجة إلى الاستقرار وانشاء أسرة.»

قالت: «أوه، النجدة.»

قال: «هذا الذي ظننته. لقد اتصلت بي هاتفياً منذ دقائق وقالت انها تريدني ان اكتب لها وصيتها، في وقت لا يتجاوز عطلة الأسبوع القادمة. فأخبرتها ان بإمكانك أن تفعلي أنت ذلك لأجلها، ولكنها أصرت قائلة بأنني قريبها، وأنها عائدة لتوها من زيارة للدكتور كولومبو و...»

فقاطعته: «هل هي مريضة؟»

فأجاب: «أشك في ذلك. ولكن إذا لم اكن مخطئاً، وإذا هي

لم تحقق ما بنفسها فستمضي عدة شهور متوعكة المزاج، وهذا ما سيكون صعباً بالنسبة إلى أبي، كما أن حالة قلبه لا تتحمل كل هذا القلق.»

قالت له وقد صممت على أن لا تدعه يدرك ما أحدثه صوته في تسريع نبضها: «ولكنني لا أدري ما هي المشكلة هنا، وعلى كل حال، فأنا متأكدة من أن شارلوت لن...»

فقاطعها قائلاً: «آه، بل سيحدث لها ذلك. فقد حدث هذا من قبل مرتين أو ثلاثا، مثلاً عندما كنت أنا في السجن. فلقد منعها أبي من حضور المحاكمة، ولكن عندما حاول ان يمنعها من زيارتي، سقطت طريحة الفراش. وقال الطبيب انها في حالة سيئة جداً. وهكذا وجد أبي نفسه مرغماً على أن يذعن لما تريد.»

فقالت: «أنا لا أفهم، ولكن إذا كانت صحة عمتك على مايرام، فمن المؤكد...»

فعاد يقاطعها: «انك لا تعرفين العمة شارلوت، فصحتها ستتدهور كثيراً إذا هي سعت إلى تحقيق شيء. وموهبتها هي في تحقيق الأمور التي تقتنع بها. انتبهي إلى أنها تعتقد أن كل ذلك لمصلحتنا نحن.» وتنهد.

وهنا قررت انجيلا ان ليس بإمكانها ان تفهم شيئاً من هذا الكلام اللاعقلاني. فتأوهت وتنهدت.

قال: «أهذا كل ما بإمكانك أن تقوليه؟»

فقالت: «كلا. إنها...» وسكتت. فقد كانت على وشك ان تقول (إنها عمتك انت.) ولكنها كانت تحب تلك المرأة المسنة المخادعة كثيراً. ومع ان تصرف رايان لم يكن مفهوماً، فهي على استعداد للقيام بأي شيء يمكنها عمله

إذا كان في ذلك ما يساعد شارلوت على البقاء بصحة حسنة و...

وأخيراً سألته: «وما الذي تقترحه الآن؟»

وساد السكون لحظة طويلة كادت تظن معها أنه أقفل الهاتف، ولكنه أجاب أخيراً بصوت جاد: «اسمعي يا أنجيلا، ان هذه القضية التي اعمل فيها حالياً تمنعني من الاهتمام بهدف عمتي الذي تسعى إليه.»

فقالت: «اتظن أن عندي أنا الوقت لذلك؟» وتمنت انجيلا لو لم يكن في سيتل، إذن لالتقطت أقرب شيء إليها وقذفته به، وجالت بنظرها في أنحاء المطبخ لتجد أن أقرب شيء إليها كان إناء كبيراً من النحاس يحوي سكراً.

فقال بحزم: «كلا، لا أظن ذلك، وأشك في أن أياً منا عنده الوقت الكافي. ولهذا اقترح عليك ان تذهبي إليها وتقنعيها بشيء يبقيها بصحة حسنة.»

فسألته: «كيف؟ انني لا أرى...»

قال: «أريدك فقط ان تضيفي صوتك إلى صوتي وتشرحي لها الأمر وهذا يكفي.» وحدقت انجيلا في سماعة الهاتف وعادت تقول: «ما الذي تتحدث عنه؟ ما الذي عليّ ان اقوم به وما الذي اشرحه؟»

أجاب وقد بدا في صوته الملل: «عن خطبتنا. الم تفهمي؟ ان عمتي شارلوت تضع خطة للتوفيق بين شخصين معارضين لما تريد. ليأتي بعد ذلك، أطفال في جمال الورود. أظن أن هذا هو الموضوع.»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

حركت انجيلا اذنها وهي تصرخ: «ماذا؟» لا بد انها لم تسمع جيداً.

أجاب رايان: «قلت ان العمة شارلوت تريدنا ان نعقد خطبتنا.» كان صوته حازماً ولكن ليس الى درجة الغلظة.

قالت بحذر وهي تجلس على كرسي: «أظن هذا ما سمعتك تقوله.» وسكتت تريد أن تسمع المزيد، وعندما لم ينطق بشيء، عادت تقول: «لقد سبق وعلمت بالذي يجول في ذهن شارلوت، والنقطة الآن هي، ما الذي تريده انت؟»

ساد الصمت مرة اخرى، واخيراً قال:

«أريدك انت.» كان رده هذا شبه مفاجيء.

بذلت جهدها لتحتفظ بصوتها متزناً وهي تجيبه قائلة: «تريدني أنا؟ لا اظن انك اخبرت شارلوت...»

فقاطعها قائلاً: «لقد اخبرتها بأنني سأفكر في الأمر. وهكذا إن ذهبتِ لزيارتها وطيبت من خاطرها، وذلك بأن تخبريها بأن خطبتنا...»

فقاطعته بتوتر: «أية خطبة؟ رايان، يمكنك ان تفكر في الأمر كما تشاء. ولكن، حتى زوجي السابق كلفين عندما عرض علي الزواج كان ذلك شخصياً وليس من خلال الهاتف، ولكن، اذا كنت تتصور بأنني سأصبح خطيبتك لمجرد ان لديك مشكلة مع عمتك ومع برنامج اعمالك، فانني، بكل سرور اخبرك بأن هذا لن يحدث.»

قال: «اهذا هو الأمر؟ اسمعي يا انجيلا، لقد كان عملي هذا النهار مرهقاً تماماً.»

أجابت: «وكذلك انا.» ثم اقفلت الخط، وبقيت برهة جامدة في مكانها، تحدق بصمت في الهاتف شبه متوقعة ان تسمعه يرن مرة اخرى، ولما لم يحدث هذا، التفتت تحدق في اناء السكر وهي تستمتع بتخيل نفسها تفرغ محتوياته على رأس رايان كونيسكي، تتبعه بدلو من الماء. فهذا قد يجعله حلواً نوعاً ما. وكان الغل يتملك نفسها وهي تتصور هذا.

سرعان ما توقفت عن هذه التصورات غير المعقولة لبعث العزاء في نفسها، لترغم نفسها على مواجهة الواقع وهو انها قد رفضت العرض الوحيد الذي تحب.

والآن، بعد أن فكرت في الأمر، وجدت انه لم يعرض عليها، في الواقع، الزواج منه، لقد قال انه يريدها. كان ممكناً، بالطبع، انه كان يفكر في خطبة مؤقتة كوسيلة لاسترضاء، عمته. ولكن ان يكون هذا مقدمة للزواج، فهذا غير وارد.

وذكرت نفسها بقولها (انك لا تريدين الزواج، يا انجيلا، فقد سبق وخبرت ذلك، فلم يفدك شيئاً.)

وضعت مرفقيها على المنضدة ودفنت وجهها بين يديها. كلا، انها لا تريد الزواج، ولكن، من الغريب انها، منذ تعرفت الى رايان، انتبهت الى ان حياتها هي، غالباً، فارغة.

حتى انها، احياناً، كان يملؤها الحنين لأن يكون لها اطفال تعرف الآن أنها لن تحصل عليهم، ولكن، ربما كان ما يزال ثمة أمل في شيء ما... شيء يحوي الحب والحنان.

واستقامت في جلستها فجأة، وما لبثت ان وقفت على قدميها، وابتدأت تعد الطعام لعشائها.

تمتمت وهي تقطع الكرفس: (رجل متغطرس، مغرور. اذن، فأنت تعتقد انني سأذهب حالاً الى عمتك للترفيه عنها، لأجلك، اليس كذلك؟ ثم اصبح خطيبتك اذا كان في هذا مصلحة لك. هكذا، وبكل بساطة.) وغرزت السكين في حبة طماطم فتناثر رشاش العصير فوق الموقد.

تابعت تحادث نفسها: حسناً، يا سيد كونيسكي، يمكنك ان تعيد التفكير في ذلك. واخذت تقطع الجزرة الى شرائح وهي تتابع مخاطبة نفسها: ويمكنك ان تحل مشكلاتك الصعبة بنفسك. والتوت السكين في يدها لتجرح اصبعها الصغير، فاخذت تتمتم.

وهناك، على بعد مئة ميل في مكتب فسيح مضيء، قريب من مركز المدينة في سيتل، كان رايان يتمتم هو ايضاً، ولكن سبب شعوره بالاحباط كان مختلفاً. وقال: «ويحها من امرأة.» وسكت بعد ان لم يجد شيئاً يقوله.

رد عليه شريكه مارتن كود والذي كان صديقاً قديماً له قائلاً: «أية امرأة؟ هل هي تلك المحامية التي كنت تلاحقها؟» والقى على رايان نظرة هي خليط من التسلية وعدم التصديق، وتابع يقول: «ظننت انك قررت ان تتركها.»

تمالك رايان نفسه وهو يقول: «وماذا يعني هذا؟» وبدا عليه الغضب كما لم يره مارتن بهذا الشكل من قبل. وضاقت عيناه وقد بدت فيهما نظرة لا تبشر بخير للمرأة التي استشارته بشكل فجر فيه هذه العاصفة من الشتائم.

أجاب مارتن بحذر: «حسناً، لقد لاحظت انك، في العادة

عندما تجد نفسك متورطاً مع قلب معرض لخطر التحطم، فانك تنسحب قبل ان يقع ما لا يمكن اصلاحه. وقد ظننت انك لا تريد ان تسبب الأذى لهذه السيدة بنوع خاص.»

فأجاب: «لقد غيرت رأيي.»

وقفز مارتن من مكانه عندما خبط رايان بيده على المكتب بعنف. وقال له برقة: «هذه ليست شخصيتك.»

فدفع رايان كرسيه إلى الخلف وهو يقول متجهم الوجه: «احقاً؟ لا تخف، فانني لن اضربها. ولكن يبدو انني ارتكبت خطأ فاحشاً، ان السيدة بادينغلي هي اقوى كثيراً مما كنت اظن، وهكذا قلبها كما اعتقد.»

فهز مارتن كتفيه وهو يقول: «اهو كذلك؟ ان هذا يجعل الأمر اكثر سهولة.»

أجاب رايان: «هذا ما ارى.» واخذ يحدق في صف من كتب القانون على احد الرفوف، وهو يتصور انجيلا تقف في غرفة جلوسها تخبر طائرها بأنها قد اقفلت لتوها الهاتف في وجه رايان كونيسكي.

وعاد بمشاعره الى الحاضر، فالأحلام هي للنوم وليس لضوء النهار، وتجاهل نظرة العطف والتفهم التي كانت تنطق بها عينا مارتن، وهو يتناول قلماً بفروغ صبر، ثم يخطط به على ورقة، ما يشبه الحاجز. نعم، لقد ابتدأ يواجه وبشكل كلي، كل اعباء ماضيه، وكان ذلك منذ وقت طويل.

رسم دائرة قاتمة ثقيلة حول الخطوط، وعندما انكسر القلم القى به على المكتب بضيق، كان عليه، بالطبع ان يدرك عمق الجرح الذي شعرت به انجيلا في كرامتها عندما رفض

ان يستغل تلك العواطف التي نشأت بينهما. كانت قد طمأنته بأن قلبها لم يتورط بحبه، وكان عليه ان يصدقها.

آه، من المؤكد انه كان على شيء من الجفاف عندما اتصل بها منذ برهة، ولكن، كان عليها ان تدرك ان لا وقت لديه يضيعه على الألاعيب...

وأعاده صوت تنحنح مارتن، إلى واقعه في المكتب. ان عنده مواعيد ومقابلات مستعجلة عليه انجازها ولا يمكنه اغفالها لأجل انجيلا بادينغلي، ولكنه، في العطلة الأسبوعية القادمة، قد يجد وقتاً للعبة ما. لعبة ذات طبيعة معينة.

نظر الى شريكه، ورفع حاجبيه قائلاً: «ان صديقتي محامية المدينة الصغيرة تنتظرها مفاجأة.» قال ذلك بوجه مشرق لم يخدع صديقه. واستطرد يقول: «لقد ابتدأت اتطلع بشوق الى ذلك. أتعلم انني افتقد الآنسة انجيلا بادينغلي؟»

في الصباح التالي، كانت اعصاب انجيلا قد هدأت. ولكن شعوراً غامضاً بالخيبة كان يؤلمها... هذا الى اوجاع عضلية لم تكن غامضة ابداً، ومع انها تعلم كم كانت عنيدة صلبة، فقد توقعت ان يعود الى الاتصال بها.

ولكنه لم يفعل.

قالت تحدث آل: «ليس معنى هذا انني اردته ان يتصل بي، ولكنه لو كان فعل لسرني ان اوليه شيئاً من عنايتي.» وكان الطائر الصغير يراقبها وهي تكسر بيضتها المسلوقة.

مرت بقية الأسبوع ببطء. لقد عاد روبين الى العمل، وحيث ان الوقت كان صيفاً، فقد كان عدد من عملائها في الخارج. أما رايان فلم يتصل بعد، كلا، ولا شارلوت، وهذا ما ادهشها، يبدو ان رايان قد بالغ في وصفه للمشكلة

بالنسبة الى عمته. وشعرت بالارتياح، انما الى عدم استقرار غريب، لتدفع نفسها، بعنف الى اعادة تنظيم ملفاتها، مما زاد من شعورها بالحر والرطوبة وعدم الرضى.

ونهار السبت، قررت ان تحفر احواضاً جديدة للزهور في حديقتها. وهذا ما جعلها تشعر بمزيد من الحرارة والرطوبة. ولكنه انقذها من التفكير.

كانت واقفة متكئة على مجرفتها ترتاح قليلاً وهي تلهث في ذلك الجو الصيفي الخانق، عندما ومض امام نظرها شيء ذهبي، نظرت ناحية السياج، فوجدت رايان متكئاً عليه وقد انعكست على شعره الذهبي القاتم اشعة شمس الظهيرة.

والتقت عيونهما، عيناها الحذرتان، وعيناه اللتان تتألقان بالثأر.

وللحظة، لم ينبس احدهما بكلمة، وبعد ذلك قال رايان: «حسناً، لقد اردتني ان احضر شخصياً، وها قد جئتك.»

فسألته: «لماذا؟»

فأجاب: «لأشياء كثيرة، منها انني لا احب اقفال الهاتف بوجهي.»

فقالت: «انني اقترح عليك، اذن، ان لا تخطب الفتيات بواسطة الهاتف عندما يكون وقتك مشغولاً جداً بحيث لا يمكنك القيام بذلك شخصياً.»

فقال باختصار: «انني لم افعل ذلك، وانما اردت منك ان تخمدي حماس عمتي، وتخبريها ان الزواج لا يهمنا نحن الاثنين، وان خطبتنا ستنفصم...»

فقالت: «ولكن تلك الخطبة لم تكن قط.»

أجاب: «انني، في الواقع، لم اغفل عن هذا الأمر. وربما كذلك، لم تغفل عنه عمتي شارلوت، ولكن هذا لم يمنعها من الاقتناع بأن اتحادنا هو منقوش فوق النجوم. ان كل ما طلبته منك هو ان توجهي نظرها نحو الواقع. كان بامكاني ان اقوم بذلك بنفسي او احاول ذلك، ولكن، أنت تعيشين هنا، أما انا فلا استطيع ان أترك من يدي كل شيء، ثم آتي الى هنا كلما خطرت ببالي فكرة طارئة.»

فمسحت العرق عن جبينها وهي تقول: «ربما كان هذا صحيحاً. ولكن كان بامكانك ان تطلب مني أن ابذل جهدي مع شارلوت، وهذا بدلاً من ان تتصل بي هاتفياً لتقذف في وجهي اوامرك وكأنك السيد المطاع، انني لم اسمع بمثل هذه السخافة في حياتي.»

فقال وهو يرفع حاجبيه محذراً: «سخافة؟ هل تسمين خطبتي لك سخافة؟»

لم تعرف انجيلا ما اذا كان يخفي ابتسامة فقالت: «انه لكذلك.» وشعرت وهي تقول هذا بانقباض في نفسها وهي تستطرد قائلة: «ان ليس لديك نية للزواج مني.»

أجاب وهو يخطو نحو ظل دالية عنب كانت خارج السياج: «كلا، ليس لدي. ولكنني لا أعارض كلياً، علاقة أخرى غير دائمة...» وأرسلت عيناه اليها نظرة صريحة المعنى.

قال رايان وقد ذهبت اشعة الشمس بالظل الذي كان يحتمي به: «هل ستفتحين لي الباب لكي أدخل؟»

وضعت انجيلا قدمها على المجرفة، ومسحت عينيها بذراعها. وعندما خفضتها، كان هو ما يزال هناك، مستنداً

إلى جذع الشجرة وقد عقد ذراعيه على صدره. لم تستطع ان تعرف ما يجول في ذهنه، ولكن التوتر الذي كان يبدو عليه، دلها على انه غير ما يبدو عليه من استرخاء.

وعندما فتحت له البوابة، ومر بجانبها وهو ينظر اليها بشيء من السخرية، عند ذلك فقط تذكرت انها ترتدي سروالاً قذراً ذا لون كاكي وقميصاً ممزقاً واسعاً، ويغمر العرق ذلك كله. وكانت هذه ملابس لا تليق بخطوبتها.

قالت بجفاء، بعد ان شعرت بالارتباك لقربه منها: «ان شارلوت لم تتصل بي، كما انني لم اسمع انها متوعكة الصحة.»

فأجابها بهدوء وهو يمسك ذراعها غير مهتم بالتراب الذي يعلوها: «انها ليست متوعكة.» وقادها إلى المنزل وهو يتابع قائلاً: «لقد اتصلت بها بعد دقائق قليلة من اقفالك الهاتف في وجهي.»

نظرت اليه بارتياب، ورأت على شفتيه تلك الابتسامة التي تذهب باللب.

وعاد يقول: «لقد اخبرتها ان لدينا خبراً لها في عطلة الأسبوع هذه.»

فقالت: «خبر؟ اظنك لم...»

فقاطعها: «كلا، انني لم اعد بشيء، قلت لها ان لا تعتمد على شيء، وان لا تزعجك بالاتصال بك كي لا تفسد خطتي للمستقبل.»

فرفعت انجيلا يدها الى فمها وهي تقول: «أحقاً قلت هذا؟ آه، يا للمسكينة شارلوت.»

فقال: «مسكينة شارلوت؟ صحيح انني مديون لعمتي

بالكثير، ولكن الا تظنين ان شفقتك هذه في غير مكانها؟»

فأجابت: «ليس تماماً. ولكنني اظنها ستجن لعدم تمكنها من زيارتي لتفهم كل شيء.»

فضحك رايان، وقال: «انني متأكد من ذلك. والآن يا سيدة بادينغلي، ما رأيك في الذهاب وغسل كل هذه الأقذار عنك، ثم ارتداء ثوب جميل. أما أنا فسأكمل حفر حوض الزهور هذا لأجلك.» ووضع يده على كتفها وادارها قائلا: «هيا.»

أذعنت متجهة نحو الحمام وهي تتعثر في طريقها. وقفت تحت المياه الباردة لمدة نصف ساعة، لم يكن ثمة فائدة من التفكير، فان رايان قد عاد. عاد ليحل المشكلة لأجله هو وليس لأجلها. ولكن لا يبدو ان ثمة فرقاً، فكل ما يهمها هو انه هنا الآن.

وبعد ذلك بعشر دقائق، عادت الى حيث كان في الحديقة وقد ارتدت ثوباً ازرق اللون.

كان رايان مولياً اياها ظهره، وقد وقف متكئاً على المجرفة بعد ان انهى حفر حوض الورود.

وقفت لحظة تراقبه الى ان احس بها، فاستدار ببطء، وابتسم لها بتكاسل.

كان يسير نحوها وهو ماداً ذراعيه نحوها، ولكن الابتسامة على فمه لم تعد متكاسلة.

حاولت انجيلا ان تستدير هاربة، ولكنها لم تستطع ان تتحرك. ووقف على بعد حوالي نصف قدم منها.

حاولت ان تتكلم فقالت هامسة: «رايان... لقد سبق وقلت في المرة الماضية ان هذا لا يفيد بشيء. لماذا...؟»

فأجاب: «لأنني بشر، ورغبت فيك اكثر مما رغبت في اية امرأة في حياتي. لقد ادركت يا عزيزتي انجيلا، منذ اللحظة التي اقفلت فيها الخط في وجهي، انني ارتكبت غلطة. وهكذا تدبرت امر عمتي شارلوت في اسرع وقت استطعته، وضغطت على مارتن لكي يساعدني في دراسة ملف قضيتي، وها انذا هنا الآن لكي اجعلك تدفعين الثمن.»

وحملقت فيه تسأله: «اي ثمن؟»

فأجاب: «ثمن اقفالك الهاتف في وجهي، طبعاً.» وكانت لهجته مرحة، ولكن من فمه وعينيه علمت انه يعني ما يقول.

تراجعت انجيلا خطوة الى الوراء، وقالت: «رايان، لا اظن...»

فتقدم منها وسألها: «هل ندخل إلى المنزل؟»

اومأت برأسها علامة الموافقة. اتجه بها نحو المنزل حيث اجتاز غرفة الجلوس.

نظر اليها وهي تجاهد لالتقاط انفاسها وقد التهبت عيناه بالمشاعر. وقال: «انك رائعة يا عزيزتي. انك اجمل امرأة رأيتها في حياتي.»

وهتفت انجيلا: «آه يا رايان، كم احبك.»

وأخذت تتأمل عينيه اللتين اخذتا تحدقان في السقف وفي ملامحه الخشنة وفكه وقبضتيه المتوترتين بجانبيه، ثم قالت بهدوء: «لا بأس، ليس لك ان تقلق. لقد قلت تلك الكلمات مدفوعة بالارتباك.»

فأجاب: «اعلم ذلك، وأنا مسرور.» ونظر اليها، ولكن عينيه كانتا فارغتين وكأنه كان في مكان غاية في البعد.

قطبت انجيلا جبينها ثم سألته بمرارة مفاجئة: «ما الذي يشغل بالك؟»

نظر إليها بعينين باردتين وقال: «هناك أسباب دعتني للحضور.»

همست: «وما هي هذه الأسباب؟»

أجاب: «اولاً، عمتي شارلوت.»

فتمتمت قائلة: «إن مجيئك إليّ اليوم لن يقنع عمتك بأن ليس ثمة امل.»

فقال وهو يربت على ظهرها بذهن شارد: «هذا صحيح، ولكن ذلك لم يكن جزءاً من خطتي الأساسية. لقد اردت ان اعاقبك على اقفالك الخط في وجهي، وبعد ذلك...»

فسألته وهي تكاد تكون واثقة من انها لا تريد أن تعرف الجواب، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من السؤال قائلة: «وماذا بعد ذلك؟»

فأخذ يربت على ظهرها لحظة قبل ان يجيب قائلاً: «انني لست متأكداً من ذلك مطلقاً.»

فتمتمت تقول: «هذا ليس جواباً.» وكان في صوته من الخشونة ما جعل جسدها يتصلب على الفور. وتابع هو قائلاً: «اذا داومت على رؤيتي في فترات بعد الظهر، فستبقى علاقتنا ممتازة، يا انجيلا. ولكن الناس، غالباً، اذا هم ابتدأوا بشيء، فهم لا يعرفون كيف يتوقفون. وأنا لا أريد ان يحدث ذلك لنا.»

فقالت وقد تلوى قلبها المأ: «ولماذا يجب ان يحدث ذلك؟»

قال: «اعدك بأن لا افعل ذلك، لقد تعلمت منذ مدة طويلة ان لا اعتمد الا على نفسي، فلا احتاج شيئاً من اي احد كان،

وهذا درس عليك أنت أيضاً ان تتعلميه. اياك ابداً ان تعتمدي عليّ بشيء يا انجيلا. لقد سبق ووقع البعض في هذه الغلطة، وما زالوا نادمين حتى الآن.»

استندت على ذراع الاريكة، وأخذت تحدق في وجه هذا الرجل القوي المتمالك لنفسه والذي كان يوماً مقصوص الجناحين، كانت عيناه كمرآتين غامضتين. وكان يبتسم تلك الابتسامة الجذابة التي أحبتها، ولكن الذي كانت تدركه على الدوام، كانت تلك المرارة التي تتخللها. كيف بامكانها ان تتكهن بما سبق وقاسى؟ وكم من الآلام تزخر بها اعماقه؟ ان آثار الجروح السطحية هي فقط ما تبدو للعيان.

ولامست اثر الجرح الأبيض فوق عينه، بذهن شارد، وهي تحاول ان لا تظهر في عملها هذا، ما يكشف عن حقيقة حبها له، وحاجتها، وليس اعتمادها، كطريقة للحياة. ان جعله يعرف انها تحبه، لن ينفعها في شيء. لأنه عندما قال انها ستندم على ذلك، انما كان ينطق بالحقيقة، تماماً كما كان الندم، في النتيجة، نهاية ارتباطها مع كلفين. ان من غير الممكن ان ترتكب نفس الغلطة مرة اخرى. وربما ليس في نية رايان ان يسبب لها الألم... وقد كانت متأكدة تقريباً من ذلك.. كانت تتوقع ان اقل اشتباه منه في مبلغ ضعفها ومشاعرها نحوه، لن تكون نتيجته سوى اسراعه في الانفصال عنها، واثناء ذلك تكون قد فقدت كرامتها ايضاً. ما تلك الحركة خارج النافذة؟ كان صوت نقرات على الزجاج. هل كان الباب الخارجي ما زال مفتوحاً؟ وساورها شعور غير مريح بأنه كذلك. ولكنهما لم يكونا باديين للنظر، ولكن...

وسرعان ما سمع صوت وقع خطوات على السجادة، وبعد لحظات سمعت صوتاً يقول: «انجيلا، لقد تركت بابك مفتوحاً، ورأيت أنا السيارة، وهكذا...»

وسكت الصوت فجأة عندما وقعت العينان الحادتان على رايان واقفاً أمامه، ثم عاد يقول وقد اخذته المفاجأة: «ما الذي...؟»

وتنحنح والد رايان لعدة لحظات، ثم استطرد قائلاً: «عزيزتي انجيلا، لقد جئت لأعيد اليك الكتب التي كنت اعرتني اياها، انني لم اتوقع...»

وهز رأسه وهو يترنح، ثم استدار يواجه ابنه، قائلاً: «اعني ان من غير...» وتنحنح مرة اخرى ثم عاد يقول: «لم يخطر ببالي قط انني سأجد...»

قالت انجيلا: «لا بأس في ذلك، يا هاري، انك لم...»

قال رايان منقذاً الموقف: «مرحباً، يا أبي، انا لم اقصد ان اجفلك، ولكنني كنت اساعد انجيلا على ان تقوم باتصالاتها الهاتفية.»

وقفت انجيلا على قدميها، لم يكن ثمة امل في أن يصدق هاري قصة رايان عن اتصالاتها، ولكنها، على الأقل يمكن ان تمكنهم جميعاً من صيانة ماء الوجه.

وقف رايان برشاقة، ثم اتجه نحو مطبخ انجيلا وكأنه ملكه الخاص، وهو يسأل اباه من فوق كتفه: «اتريد فنجاناً من الشاي يا أبي؟ انني متأكد من اننا جميعاً بحاجة الى فنجان شاي.»

الفصل التاسع

كانت انجيلا ما تزال متضرجة الوجه متقطعة الأنفاس وهي تلحق برايان إلى المطبخ بعد أن اجلست والده على الأريكة ووضعت بجانبه بعض المجلات وكتاباً بعنوان (الاعتناء بالحديقة يذهب بالأوهان من جسدك.)

وقالت لرايان: «انك حاضر الذهن.»

فأجاب: «حضور الذهن وأنا واقف على قدمي، أم مستلق على ظهري في مثل حالتي الحاضرة، هي موهبة اكتسبتها خلف قضبان السجن.»

قالت له: «كيف بإمكانك ان تفكر بالشاي في وقت كهذا؟»

فقال: «انني ابن أخ شارلوت كونيسكي.» قال ذلك وكأنه كان يوضح كل شيء.

فقالت: «نعم، ولكن أباك...»

فقاطعها: «ان أبي يلذ له كوب شاي جيد الصنع.»

فقالت: «ليس هذا ما عنيته. وأنت تعرف ذلك.»

قال وهو يحدق في عينيها: «اسمعي. اننا لن نستفيد شيئاً إذا نحن تصرفنا وكأننا اقترفنا جريمة، هذا في الوقت الذي كان كل ما فعلناه هو أننا امضينا ساعة معاً...»

فقالت انجيلا وهي مازالت تذكر مالاح على وجه الأب من امارات الذهول: «ولكن... فهو يعلم.»

فأجاب: «انه يعلم طبعاً. لا تقلقي لهذا الأمر، فأنا سأعالج الموضوع مع أبي.»

فقالت: «نعم، ولكن كيف؟ أعني...»

فقال: «كفى ارتباكاً يا انجيلا، اذهبي واسكبي الشاي لأبي. يمكنك ان تتحدثي معه عن الجو... عن الجبال، أو صحته أو اي تفصيل أو ايضاح لما كنا نتكلم به في غرفة جلوسك.»

فقالت: «أشك في أن عملنا يحتاج إلى ايضاح، كما انني لست مرتبكة.» وأخذت أنجيلا تنظم الفناجين على الصينية، واضعة مكعبات السكر في إناء الحليب.

أجابها رايان: «لست مرتبكة؟ إذن فلن تجدي أي صعوبة في سكب الشاي.» وجلس على حافة مائدة المطبخ وقد عقد ذراعيه وكأن مطبخها هو ملكه الخاص.

وأدركت انجيلا من الابتسامة الخفيفة التي على وجهه، أنه يظنها غاية في الارتباك لحضور أبيه غير المتوقع مما قد ينتج عن ذلك سقوط إبريق الشاي من يدها. وكان هذا بالضبط، ما حثها على تمالك نفسها والكف عن القلق بشأن تعقل هاري. فإذا كان ابنه نفسه غير مهتم، فلماذا تهتم هي؟

رفعت رأسها، ثم حملت الصينية وتوجهت بها نحو غرفة الجلوس، حيث وجدت الأب يتظاهر بدراسة رسم يمثل رجلاً متوسط السن يزرع البطاطا. وتبعها رايان الذي كان يرتدي قميصه تاركاً إياه فوق السروال ليتهالك على كرسي من الخيزران بدا صغيراً بالنسبة لحجمه.

وترك هاري من يده رسم زارع البطاطا، ثم استدار ينظر إلى ابنه غاضباً، ولاحظت أنجيلا أن يديه كانتا ترتعشان وأنه يبدو أكبر سناً مما كان منذ اسبوع مضى.

وألقت نظرة على رايان الذي كان قابعاً في كرسيه لترى

أنه، مع كونه يبدو مرتاحاً، إلا أنه كان ينظر إلى أبيه بعينين ضيقتين.

وأوشكت أن تفتح فمها لتقول شيئاً... أي شيء قد يعيد اللون إلى وجنتي هاري الشاحبتين، عندما أعلن رايان قائلاً بابتسامة عفوية طبيعية تماماً: «حسناً يا أبي، كما أظنك سبق ولاحظت انني وأنجيلا عقدنا خطوبتنا الآن. وأنت أول من يعلم بهذا.» ودون انتظار منه لتهاني أبيه الذي تملكه الارتياح، ولا لشهقة احتجاج من خطيبته، نظر إليها بابتسامة عريضة وهو يسألها بلهجة متملقة تتضمن انذاراً عنيفاً: «أليس كذلك، يا عزيزتي؟»

وسألته وهي تفرك يداً بالأخرى في حضنها متسائلة عما إذا كان وجهها قد توهج احمراراً: «ماذا قلت؟»

أجاب: «قلت إننا قد عقدنا خطبتنا للتو.» وانبأتها النظرة التي ألقاها عليها، بما لم تنبئها الكلمات، بأنها إذا حاولت أن تنكر ذلك، فإن من المحتمل ان تجد نفسها في وضع أسوأ من خطبة غير مرغوب فيها. وكأن احتمال اصابة هاري بنوبة وشيكة، ليس فيه الكفاية من السوء، وحاولت أن تخبر نفسها بأنها امرأة ناضجة تدير عملها الخاص منذ سنوات، فرايان، إذن ليس له الحق في أن يتدبر أمور حياتها، ولكنها نظرت إلى هاري الذي كان وجهه المغضن يطفح سروراً فتجمدت الكلمات التي كادت تنطق بها، على شفتيها. ونظرت إلى رايان غير مصدقة، وأدركت أنه، رغم كل تحليلاتها المنطقية، لو سألها، جاداً أن تتزوجه غداً، لما استطاعت قوة في الأرض ان تجعلها ترفض. إنها ستفكر في تصريحه هذا

فيما بعد. لقد احتواهم الآن في مسرحيته الهزلية هذه، أما اخراجهم منها، فذلك عائد إليه.

تمتمت وهي تعود بوجهها إلى هاري، لتمنحه ابتسامة مشرقة: «نعم. اننا لم نعيّن موعداً... بالطبع...»

فقاطعها هاري وعيناه المتألقتان تتنقلان بين وجه أنجيلا المضطرب ووجه رايان المتحلي بضبط النفس، وهو يقول: «كلا بالطبع. فالوقت لم يساعدكما على هذا، أليس كذلك؟ فالأمور جاءت مفاجئة.» وهنا أصبح صوته أجش، ثم تابع قائلاً: «لا بد أن اعترف بأنني مسرور لسماعي هذا، ثم هناك أمر آخر جدير بالاعتبار.» وأخذ ينقر بأصابعه على ركبته وهو يتابع قائلاً: «انك تعرف ان عمتك ستسر جداً، فقد كانت تفكر في ذلك.»

شبك رايان يديه فوق رأسه متكاسلاً وهو يقول: «لقد كانت اخبرتني مرة أن الوقت قد حان لأؤدي واجبي كإبن وافكر في الزواج والانجاب لحفظ استمرار اسم كونيسكي. وقد وعدتها بذلك.» ومنح أباه ابتسامة فيها شعور بالذنب.

قال الأب وهو يحاول جهده أن لا يرد الابتسامة ولكنه فشل في ذلك: «هذا حسن.»

وبعد ذلك بمدة قصيرة خرج الأب وهو يوصي إبنه بتحسين سلوكه ليصبح جديراً بكونه خطيباً لأنجيلا. وأثناء وقوف رايان في مدخل الباب، أبدى ضيقه من عدم مراعاة أبيه لتحذير الدكتور كولومبو له من قيادة السيارة بنفسه.

فقالت أنجيلا بمرارة غير مقصودة: «ماذا؟ أتريد أن تحرمه من إذاعة أهم خبر هذا العام؟» وتنفست بعمق، ثم حدقت أمامها في البوابة، وهي تستطرد قائلة: «حسناً، لقد

انتهت الحفلة يا رايان، والآن اخبرني عن سبب كل ما جرى؟»

فأجاب باختصار: «حصر الضرر.» وأدارها موجهاً إياها نحو المنزل ثم إلى غرفة الجلوس، وهو يستطرد قائلاً: «لقد بدا على أبي أنه سينهار للصدمة التي أصابته وهو رآني هنا في منزلك. ثم أن لك أنت، أيتها السيدة بادينغلي، سمعة في هذه المدينة عليك أن تراعيها.»

فقالت: «وأنت؟ أليس لك سمعة.»

فقالت: «كلا بالطبع. فأنا، يا عزيزتي، شخص ميؤوس منه، بينما أنت لست كذلك. فإذا أنا لم أسارع لإخبار أبي بأننا قد عقدنا خطبتنا، فإنه سيخبر عمتي شارلوت بأنه رآني عندك، حال وصوله إلى المنزل، بشكل سرّي طبعاً، وبعد ذلك ستخبر هي السيدة براكين عن ذلك، سراً أيضاً، والسيدة براكين ستخبر السيدة غروبر التي ستخبر بدورها السيدة فارادي، التي ستخبر السيدة مالون. وفي أقرب وقت تكون شبكة الاتصالات قد نشرت الخبر الذي يقول ان محامية مدينة كاليه كوف المحترمة هي امرأة مستهترة.»

وأضاف: «وبما أننا مادمنا مخطوبين، فإن سمعتك لن تمس.»

فقالت محتجة وهي تدفع عنها ذراعه وتتحول نحو آل الراقد في قفصه: «ولكننا لسنا مخطوبين أم أنني نسيت شيئاً؟ فأنت لم تعرض عليّ الخطبة عندما كنت أسكب الشاي. أليس كذلك؟ أو عندما كنا نحن الاثنين على... أعني مخطوبين على...»

فأجاب: «لم أكن أعرف أن هذا ما كان عليّ ان افعل. وهل كنت ستقبلين لو كنت فعلت؟»

ردت على الفور تقول كاذبة: «كلا. كلا طبعاً.» وقبل أن تجد الوقت لتتمالك نفسها، أخذ يحدق في وجهها. ثم لوى فمه وقال: «انني لا أمدح نفسي، ولكنني أظن أن ما قمت به يبسط الأمور.»

لم تحتمل أنجيلا تهكمه البارد هذا، فاستدارت مبتعدة عنه وقالت بلهجة متوترة: «هنالك هاتف في المطبخ يحسن بك ان تستعمله حالاً.»

فقال: «لكي أذيع خبر خطبتنا؟ أن أبي سيتصرف بهذا الموضوع أفضل مما استطيعه أنا.»

فقالت: «كلا، بل لتخبر أباك، وعمتك أيضاً، بأن خبر خطبتنا غير صحيح.»

فقال: «كلا. لن اخبرهما أي شيء من هذا النوع.»

فقالت: «لا بد من ذلك يارايان، أم ترى هذا يشكل بالنسبة إليك لعبة مسلّية...»

فقال: «إنني لا أقوم بالاعيب، فالحياة أقصر من أن تسمح لي بذلك.»

فصرخت وهي تغالب نفسها أن لا تخبط الأرض بقدمها: «كفى، انك حتماً، تقوم بالاعيب. إننا لسنا ولن نكون مخطوبين. انك لا تريد أن تتزوجني مثلما أنا لا أريد أن أتزوجك.»

فقال موافقاً: «هذا صحيح، فأنا لا أريد. ولكن، قد يدهشك أن تعلمي أنني سبق وفكرت في الزواج مرة، وكان ذلك منذ زمن طويل... بعد فترة قصيرة من اطلاق سراحي،

ومنذ ذلك الحين، أدركت أن من الأفضل لرجل مثلي ان يستمر في الحياة وحيداً، فهذا سيقلل من الأحزان على المدى الطويل...»

فسألته: «ولماذا إذن كل هذا الهراء عن الخطبة؟»

«هذا ليس هراء، يا حبيبتي، فأنا وأنت مخطوبان الآن رسمياً.»

فأجابت: «آه، كلا. هذا غير صحيح. إنني لا أريد أن أخطب إلى رجل لن أتزوجه.»

فقال: «لا بأس إذن، في ذلك. إذا كنت تصرين فسنتزوج.»

فقالت: «إنني لا أصر على...»

فقاطعها: «كلا، ولكنني أنا اصر. على الأقل على الخطبة. ومادام لا يبدو عليك اللهفة لقضاء حياتك متشبثة بي، فأنا لا أرى هناك سبباً يمنعنا من ان نجعل ذلك شرعياً. وبعد ذلك يمكننا أن نتابع حياتنا منفصلين كل له حياته الخاصة.»

تأوهت أنجيلا بيأس، وقد ساورها الإضطراب، وتساءلت عما إذا كان يهدف حقاً إلى تحطيم قلبها. وقالت: «أتعني زواجاً تقليدياً دون قناعة تامة؟ كلا، أشكرك. بالمناسبة، ما الذي يجعلك تظن ان هذا يهمني؟»

فرفع حاجبه قائلاً: «ظننت أن هذا واضح.»

فقالت: «آه، لقد فهمت.» ومشت نحو النافذة تطل منها على زهرات الشقائق، ثم عادت لتلقي بنفسها على الأريكة وهي تقول: «نعم، إنك وسيم جداً، يا سيد كونيسكي، ولكنك بصراحة فشلت في أن تلهمني فكرة الزواج.»

وضاقت عينا رايان ثم قال: «أتريدين إلهاماً، يا سيدة

www.elromancia.com

بادينغلي؟ أظن أن بإمكاني تزويدك بهذا. مع أنني، في الواقع، كنت اتحدث عن الحاجة إلى صيانة سمعتك في هذه المدينة.»

«أتراك خرجت عن عقلك؟ اتقترح عليّ ان اتزوجك لأن أباك ضبطنا معاً في غرفة الجلوس؟»

فأجاب: «وهذا أيضاً. هل عندك سبب أحسن من هذا السبب؟»

فأجابت: «نعم. عندي عدد من الأسباب. المودة المتبادلة، الصداقة، الصحبة. حتى انني اسمع أحياناً عن أناس يتزوجون لأجل الحب. ولكنني لم أسمع قط أن في هذه الأيام وهذا العصر، ثمة امرأة تتزوج خوفاً من ان يظن أحد انها في سن الخامسة والثلاثين، لا تعيش كالمتصوفة.»

فقال: «ولكنك كنت كذلك نوعاً ما، أليس كذلك؟»

عقدت أنجيلا حاجبيها قائلة: «ليس هذا هو الموضوع.»

أجاب: «كلا. فالموضوع هو أنه حتى في هذه الأيام وهذا العصر، قد حدث أنك تعيشين في كاليه كوف. صدقيني، فإن خبرتي لا تضاهى في معرفة المدى الذي يمكن لثرثرة الناس أن تدمر سمعة الانسان في هذه المدينة. وأنا سأحاول ان اجنبك ذلك. ولكن بصراحة اهتمامي حالياً هو موجه نحو أبي.»

فقالت: «لقد بدا شاحباً... قليلاً.»

أجاب: «بالضبط. لقد احتمل من الآلام ما يكفي بسببي. وصحته الآن مزعزعة غير مستقرة، وأنا لا أريد أن أجعله عرضة للكدر، فهو سيتقبل ما رآه، مسروراً ما دمنا، أنا

وأنت ننوي الزواج. أما ما الذي سيحزنه اكثر مما يتصور المرء، فهو ان يظن أنني استغل براءتك... دون ان أنوي حقاً الزواج منك. وهذا هو السبب، يا حبي الجميل، في ان نبقى مخطوبين.»

فقالت: «ولكن هذا ليس عدلاً. فهو أبوك أنت...»

فقاطعها: «وصديقك كذلك. هل تريدين حقاً ان تكوني مسؤولة عن اصابته بنوبة قلبية؟»

«ولكن هذا ابتزاز يا رايان؟»

فأجاب: «سمه ما شئت. فالواقع هو أنني لا أريد لأبي ان يتكدر، أما بالنسبة إلى سمعتك، فإذا أنت انكرت خطبتنا بمثل هذه السرعة بعد اعلانها، وصدقيني أنها اعلنت الآن في كل مكان فأنا اعرف أبي، فما اسرع ما ستجدين ما ستلحقه به ثرثرة الناس هنا في هذه المدينة، فالناس سيكفون عن الكلام في اللحظة التي تدخلين فيها المكان، وسيعودون إلى الكلام في اللحظة التي تخرجين فيها. وستبدأين أنت بالشعور وكأنك تعيشين في حوض سمك وبين اسنانك حبة زيتون سوداء.»

وشعرت أنجيلا بالمرارة تغلف لهجته، فلم تدهش. فقد سبق وتألم من ألسنة أهل هذه المدينة. وتمتمت قائلة: «لا أظن أن السمك يأكل زيتوناً اسود... على كل حال، فإن اهتمامك هو بأبيك وليس بي أنا.»

أجاب: «انني اهتم بكما أنتما الاثنين. وأبي اولاً.» وابتسم يخفف عنها الأمر. ثم رفع خصلة من شعرها جعلتها تتمنى لو أنه لا يقترب منها بهذا الشكل، وتابع كلامه قائلاً: «والآن وقد انتهينا من هذا الأمر.»

فهتفت وهي تبتعد عنه قدر استطاعتها: «رايان... إننا لن نتزوج، وإذا أنت...»

وقف رايان ومشى خارجاً من الغرفة وكأنها لم تتكلم.

وعادت أنجيلا تغوص بين الوسائد.

وبعد ذلك بدقيقة، عاد رايان وقد بدا عليه الرضا عن نفسه.

قال وهو يتكىء إلى حاجز المدفأة عاقداً ذراعيه فوق صدره، وقد التمعت عيناه: «ان كل شيء قد أصبح أكيداً ثابتاً بعد ان تحدثت الآن مع أبي وعمتي شارلوت. وهم يقترحون أن تكون حفلة الزفاف في شهر أيلول (سبتمبر).»

وقفت أنجيلا وتقدمت نحوه وهي تهتف: «رايان... إنني لن أتزوجك في أيلول (سبتمبر).»

فقال: «إذن، في شهر آب (اغسطس).»

فقالت: «ولا في أي شهر آخر.»

فقال: «هذا حسن جداً. إذن فسنعقد خطبة طويلة.»

قالت: «لن نعقد أي نوع من الخطبة.»

فقال: «آه، بل سنفعل.» وابتسم لها تلك الابتسامة التي تأخذ بمجامع القلوب. وللحظة تمنت انجيلا لو تذعن لما يريد، تمنت دون رجاء، لو أن الظروف كانت مختلفة وأن رايان يحبها. لقد كان واضحاً أنه رجل ذو فطرة سليمة وإلا لما اهتم لذلك الأب الذي سبق وتخلى عنه في إبان حاجته إليه، وبالتأكيد ما كان أيضاً ليهتم بسمعتها.

ولكنها تركت فكرة الإذعان، عندما سمعته يقول بهدوء: «لا تضيعي الوقت في الجدل معي، يا أنجيلا، انك تريدين مودتي، وصداقتي وصحبتي، وستنالين كل ذلك. أما

بالنسبة إلى الحب... فهذا ترف لا استطيع ابداً توفيره.»

ومشى نحوها خطوة بينما كانت هي تقف محدقة فيه بعينين تلمعان تحدياً، ثم استطرد يقول: «ثم ان التعبير الذي يبدو على وجهك الجميل إذا كان له أي تفسير، فهو كما يتراءى لي، انك تشعرين تماماً كما اشعر أنا. وهذا يعني أننا سنكون متلائمين تماماً.»

فصرخت فيه أنجيلا: «ولكننا لن نكون معاً لكي نتلاءم. ابداً.» وكان عليها أن تصرخ. ويبدو أن الضجة قد خففت من الألم الذي كان يعصف بها، وتابعت تقول: «ألا تفهم؟ إنني لا أريد أن أتزوج، أو أن اخطب، إنني اريد فقط ان أتابع حياتي نفسها التي كنت أعيشها قبل أن تمزقها أنت.»

بدا عليه الأسف الصريح إلى شيء من الضيق. وهو يجيبها قائلاً: «لن يمكنك ذلك، إن مدينة كاليه كوف لن تسمح لك بهذا وإذا كان ذلك لا يهمك فأنا لن أسمح به. ربما في خلال شهور بعد ان تستقر صحة أبي، يمكننا أن نخبره، وكذلك عمتي شارلوت، أننا غير متلائمين وسنفسخ الخطبة. أما حالياً فسنبدأ بالتخطيط لحفلة الزفاف السنة القادمة مظهرين من البهجة بهذا الوضع، قدر ما نستطيع.»

فقالت: «وإذا أنا رفضت؟» فاقترب منها قائلاً: «ولكنك لن ترفضي. أليس كذلك؟ لأنك لن تستطيعي أبداً أن تعيشي بضمير مرتاح لو حدث شيء لأبي.» وكانت عيناه الرماديتان وهو يقول ذلك، صافيتين ثابتتين.

أرغمت أنجيلا نفسها على النظر بعيداً عن تلك العينين. ربما كان هذا ابتزازاً صريحاً، ولكنها ابتدأت تضعف أمام اصراره. وكان الحق معه طبعاً، فهي لا يمكن أن تسمح ابداً

لنفسها بأن تسبب الضرر لهاري. ولا بد ان رايان رأى ترددها هذا، لأنه قال بمرح: «هذا حسن. لقد اتفقنا إذن.» وعندما فتحت فمها لتعترض، قال ببطء: «أقفلي فمك، يا عزيزتي.»

جلست أنجيلا في الظلام، أمام بيتها، وآل على كتفها، وهي تحدق في ظلمة الليل المنبسط فوق المياه. كان الجو يميل إلى الرطوبة، ولامست بشرتها النسائم الرقيقة.

لقد تركها رايان منذ ساعتين عائداً إلى سيتل، ويبدو ان خطبتهما قد عقدت منذ عدة ساعات بشكل ما دون أي مجهود منها، ما بدا أنه كان نتيجة سعي رجل فرد. لقد أعاد رايان كونيسكي تنظيم حياتها.

افترضت أنه كان عليها أن تشعر بالسعادة لأنها دون ان تعرف تماماً كيف حدث هذا، قد وافقت على ان تعقد خطبتها على الرجل الذي تحبه. كما انها ايضاً رضيت بأن تخطط لحفلة الزفاف في السنة القادمة. ولم يكن هذا يعني أنها قد صدقت حقاً أن رايان يريد الزواج منها، بالطبع، بالرغم من إشارته احياناً إلى حياة زوجية يعيشانها منفصلين. ومع هذا فقد كان يبدو عليه الاخلاص، والرغبة في الزواج بشرط ان لا يتعارض مع طريقة حياته... هذا عدا عن زياراته التي سيقوم بها إلى كاليه كوف في المناسبات.

أغمضت أنجيلا عينيها. كيف حدث ان ألقت بنفسها في هذا الوضع المضطرب؟ هي التي سبق وقررت الابتعاد عن أي ارتباط زوجي، مثلها في ذلك مثل رايان، وذلك منذ خيانة زوجها كلفين. حتى لقد تخلت عن احلام صباها، في انجاب الأطفال رغم شبه الندم الذي اعتراها لذلك. وكان

طفلا اختها يملآن بعض الفراغ في حياتها عندما تراهما، رغم ان هذا لم يكن يحدث بشكل متقارب.

تنهدت وهي تفكر بالسرعة التي تغيرت فيها الأشياء. فهي الآن في سبيلها إلى أن تلزم نفسها برايان الذي لم يكن يحبها وتحمل أطفاله في سنها الناضج هذا في الخامسة والثلاثين. وفي الواقع كانت قد التزمت بشيء لم تكن واثقة من نهايته، والتي مهما كانت فهي ستمزقها تمزيقاً. فلماذا أذعنت لهذا الابتزاز؟

تنهدت وهي تتمتم مخاطبة طائرها الصغير: «إنني حمقاء يا آل ومهرجة مضحكة.»

أجابها آل موافقاً وهو ينقر أذنها: «كراك.»

وبعد ذلك بأسبوعين وقفت انجيلا أمام خزانة ثيابها وهي تعود مرة أخرى إلى وصف نفسها بالحماقة، ان قضية رايان ستبدأ نهار الاثنين أمام المحكمة. ولكنه اتصل بها هاتفياً ليلة امس ليبلغها أنه لم يبق شيء يقوم به بشأن تلك القضية، قبل البدء بالمحاكمة، ولهذا فهو سيغتنم هذه الفرصة ليزور خطيبته.

لقد قال لها ببرود: «إذا لم أفعل ذلك، فستبدأ الألسن بالثرثرة.»

ولم تكلف أنجيلا نفسها عناء اخباره بأن الألسن قد ابتدأت فعلاً بالثرثرة. إذ كما كان رايان صور الأمر، فقد اخبر هاري شارلوت بما كان شاهده في منزلها، وهكذا انتشر الخبر من هناك. ولكن كما قال أيضاً، لقد اخمدت خطبتهما تلك الثرثرة في مهدها. وكثيرات من سيدات المدينة أخبرنها انهن سيكن اكثر سعادة إذا كن يتعاملن مع

امرأة متزوجة حتى ولو كان الزوج هو رايان كونيسكي.
وقالت السيدة براكين وهي تومىء برأسها بحنكة: «ان شارلوت تعتقد أن الزواج سيجعله يستقر.»

تمنت أنجيلا لو أمكنها أن تجعل فم السيدة براكين هذا يستقر مطبقاً إلى الأبد.

والآن، بينما تقف محدقة داخل خزانتها، خطر ببالها ان هذه هي المرة الأولى التي تدرك فيها أن رايان على وشك ان يدخل حياتها حقاً.

أخرجت ثوباً ورديا ولكنه لم يعجبها، وكانت على وشك ان تعيده إلى مكانه عندما سمعت صوت سيارة تقف امام منزلها. ها قد حضر رايان مبكراً... إنه يفاجئها مرة أخرى. وخلعت قميصها القذر، وكذلك البنطال الذي كانت ترتديه، ثم عادت لارتداء الثوب الوردي بسرعة، وفيما كانت تستدير لتمسك بالشال، إذ بها تسمع صوتاً رقيقاً يقول ببطء: «لا حاجة بك لذلك. فإن ثيابك التي عليك هي زائدة عن الحاجة.»

استدارت انجيلا بضيق وهي تسأله: «كيف دخلت؟»

فأجاب: «من الباب بواسطة المفتاح الاحتياطي الذي استعرته منذ اسبوعين.»

فقالت: «ولكنني لم اعطك مفتاحاً احتياطياً.»

فأجاب: «اعلم ذلك، وهذا اهمال كبير منك، ولهذا اخذته بنفسي. ولماذا ترتدين ذلك الثوب الوردي بينما طلبت منك ان لا ترتديه؟» وألقى بنفسه على سريرها.

وتأوهت انجيلا قائلة: «إياك...»

كان يرتدي نفس القميص الواسع مرة أخرى، ولكنه هذه المرة فوق بنطال بني اللون.

استحال دفء ابتسامة رايان إلى برود أمام عينيها، وهو يقول: «فهمت.»

وقام عن السرير قائلا: «لا بأس احضري حقيبة يدك، فنحن خارجان.»

فسألته: «خارجان؟ ولكن لماذا؟»

فأجاب: «لأنني إذا لم أفعل، فقد أقوم بعمل أناني لا يغتفر ايتها السيدة أنجيلا باديغلي.»

نظرت أنجيلا إلى إمارات الاحباط حول فمه، ثم صممت على أن لا تسأله عما يقصد بقوله ذاك.

قالت بكبرياء: «لا حاجة بك للتصرف كتلميذ يخيف الآخرين. فأنت غير مقنع أبداً في بعض الأمور.» ولم يكن ذلك صحيحاً ولكن ليس من مصلحته ان يعرف ذلك. وعادت تقول: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

فأجاب: «إلى بحيرة كريسنت نتناول الغداء في الفندق. وبعد ذلك نسير شوطاً طويلاً على الأقدام ينوب عن الدوش البارد في تأثيره، ثم اصحبك لزيارة أبي وعمتي شارلوت. فهي متلهفة إلى الحديث عن جهاز العرس أو ما تحب النساء أن يتحدثن عنه بالنسبة لحفلة الزفاف.»

كان في لهجته من الصرامة والسخط ما جعلها تشعر بشيء من الذنب. فقد كان مستعداً للزواج منها، ما يعني أنه على شيء من الاهتمام بمشاعرها... ثم تذكرت أن الخطبة كانت فكرته هو، فهو الذي استعمل الابتزاز لكي يقنعها بذلك، ما جعل الأسباب التي جعلتها تذعن له من التعقيد بحيث لم تستطع أن تستنتجها بنفسها. وكانت ردة فعلها تجاه نظراته بنفس التعقيد.

وفي طريقهما إلى بحيرة كريسنت كانت السيارة تنخفض وتعلو في ذلك الطريق غير الممهد، وكان الصمت يسودهما تقريباً. استمتعت انجيلا بالنظر إلى شعره يتلاعب به الهواء ما يبديه اصغر سناً ومرحاً، وكان لا يبدو كذلك، عادة إلا إذا هو ابتسم. وكذلك اعجبها منه لمسته الواثقة لعجلة القيادة، والشعور بالسرعة والقوة، ولفح الهواء لوجهها. وعندما وصلا إلى الفندق المنعزل المصنوع من جذوع الأشجار والكائن بين الأشجار على ضفاف البحيرة. كانت تشعر بالاسترخاء وقد ابتدأ شعورها بالحذر والارتياب نحو الرجل الجذاب المعقد هذا الذي وقعت في غرامه، ابتدأ يتلاشى.

ومن ناحية اخرى، بدا عليه الآن بعد ان توقفا، أنه على استعداد لسحب دم جيش بأكمله... تساءلت انجيلا عما إذا كانت هي نفسها، ذلك الجيش.

سمحت له بأن يتجه بها نحو ردهة الفندق المبنية من جذوع الأشجار. ولأمر ما لم تندهش والنادل يتجه بهما إلى أفضل مائدة قرب نافذة غرفة الطعام رغم انهما كانا يرتديان الملابس العادية. ذلك ان رايان لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يجلسهم النادل إلى مائدة قرب المدخل، مهما كان نوع الملابس التي يرتديها.

عاد إلى ذهن انجيلا ما سبق وأخبرتها به سارة من أنها وزوجها بريت كانا قد جاءا إلى هذا المكان بعد تعارفهما بقليل... وتمنت أنجيلا، لو تكون لعلاقتها برايان نفس النهاية السعيدة...

قالت: «يا له من منظر جميل.» وكانت تريد بهذا ان تقول

أي شيء ذا موضوع عادي، هذا إلى أن المنظر نفسه كان غاية في الروعة. فقد كانت الشمس تحيل صفحة البحيرة إلى مرآة ذهبية، كما كانت سعف النخيل الأبدية الاخضرار تنعكس على المياه الأكثر دكنة قرب الضفاف، وكان ثمة فراشات بيضاء ترفرف بأجنحتها خارج النافذة.

أومأ رايان برأسه دون ان يعقب، ثم التفت إلى النادل يطلب عصيراً.

قالت له أنجيلا: «عصير عند الغداء؟»

سألها: «ألا يفعلون ذلك في كاليه كوف؟»

فأجابت: «ان انجيلا هي التي لا تفعل ذلك.»

قال: «إننا نتناول العصير احتفالاً بخطبتنا.»

فقالت متلهفة إلى تقويم الأمور: «رايان، صدقني، كلما فكرت في ذلك، تأكدت من أننا يجب ان لا نستمر في هذه المسرحية. اعني، انني اشعر نحوك بالمودة، وأظنك تشعر نحوي بشيء من هذا وإلا لما عرضت عليّ هذه الخطبة مهما كان نوعها... ولكن لا بد أنني كنت خارجة عن عقلي إذ رضيت بالمضي قدماً في هذه الخطة الحمقاء، انك لا تريد زوجة، وأنا لا أريد زوجاً...»

فقاطعها: «لا بأس، الرأي رأيك.» وتناول قطعة خبز اخذ يمسحها بالزبدة في نفس اللحظة التي جاء النادل فيها بالعصير.

شعرت أنجيلا بوجهها يكسوه الشحوب، وسألته: «ما الذي قلته؟»

أجاب: «قلت ان الرأي رأيك.» ورفع كوبه يتأمله، ثم أومأ إلى النادل، ودون أن يسأل أنجيلا عما تريد أن تأكل،

طلب سمك سلمون وأرضي شوكي لهما هما الاثنين.

لم تهتم أنجيلا لنوع الطعام الذي تأكله، كما أنها لم تشعر بشهية للطعام اطلاقاً. فهي لم تتوقع من رايان الخضوع بهذه السهولة. والآن، كان عليها أن تعترف انها غير واثقة تماماً من أنها كانت تريده ان يفسخ خطوبتهما الزائفة هذه. وفي الواقع، كانت تتصرف كفتاة صغيرة خائفة. كانت تحب رايان، ولكنه لا يحبها، ولأنها لم تستطع ان تصل إلى قرار في ما عليها ان تفعل، جعلته يعيد الأمر اليها. واليوم كانت تتطلع إلى ما يزيل مخاوفها وشكوكها ولكنها لم تحصل على ذلك.

سألته وهي ترى البحيرة قد اصبحت اقل جمالاً: «هل ذلك لأنني لم اقبل بعرضك؟»

فوضع ريان كأسه وهو يقول: «هل تسألينني إذا كان جوابي لك بأن الرأي رأيك هو لأنك لم تخططي معي للخطبة؟» كان يتحدث بلهجة هادئة، ولكنها لاحظت شعوراً بالاحباط خلف ذلك الهدوء. ولكنها لا تلومه، فهي لم تتصرف بذرة من المنطق.

فتمتمت تقول: «ولكنها في الواقع خطبتي أنا.» وانتابها احساس غامض بأن مثل هذا الحديث قد سبق ودار بينهما من قبل. اضافت قائلة بصدق: «لا أدري فالمسألة هي أنني لم أتعود على مثل هذه المشاعر المضطربة التي تساورني.»

فقال وقد رقت ملامحه نوعاً ما: «اسمعي. إننا نحن الاثنين، نعلم أن هذا افضل الحلول، إذ عدا عن أنه يمنع النوبة القلبية عن أبي، وصحة عمتي شارلوت من التدهور،

فإنه يساعدك على متابعة حياتك في هذه المدينة براحة ورضى.»

سألته قائلة: «وما هي الفائدة التي تعود عليك أنت من وراء هذا؟ رفيقة مساء؟»

فتقلصت شفتاه وبقيتا كذلك أثناء وضع النادل للأطباق أمامهما، ليعود فيجيب بعد أن اصبحا بمفردهما: «لو كان حدث هذا الصباح أي شيء بيننا، لشككت ان في ذلك ما يجعلني اعتمد عليه. أليس كذلك؟ هل هذه المسألة هي كريهة إلى نفسك إلى هذا الحد، يا أنجيلا؟ إذا كان الأمر كذلك فأنت دون شك ممثلة اكثر مهارة مما كنت اظن.»

ارتفعت نظراتها إليه من فوق طبق الطعام، كان في لهجته شيء ما... ألم مكشوف على غير العادة جعلها تتساءل عما إذا كان جامد الشعور كما كانت تظن. ولكن ملامحه التي كانت ساكنة غامضة كعادتها، لم تظهر أي جواب.

سألته وهي عاقدة حاجبيها: «وهل هذا يهمك؟»

لمعت عيناه ببريق غضب سرعان ما تلاشى وهو يجيب: «إنني لست حيواناً، يا أنجيلا. فأنا لا أقبل شيئاً لا يعطى إليّ بكامل الرضى والإرادة.»

فقالت: «لقد عرضت عليّ الزواج، ومن المنطقي ان تحصل على شيء مقابل هذا.»

وهذه المرة اصبحت نظراته كالفولاذ وهو يجيبها قائلاً: «لو كنت تعرفينني جيداً، لعرفت أنني لا أحصل على ما أريد بالرشوة.»

فكرت أنجيلا بأنه انما يحصل على ذلك بالابتزاز فقط. ولكنها لم تقل ذلك، لأن خلف كلماته العنيفة تلك، لمحت

شيئاً... أيمكن أن يكون ألماً؟ اتراها آلمته؟ إنها لم تقصد هذا، ولا فكرت أن باستطاعتها ذلك. وساورتها رغبة في ان تسترضيه، هنا امام هذه المرأة التي ترتدي ثوباً احمر والتي كانت تنظر إليهما من المائدة المجاورة بفضول. ولكنها بدلاً من ذلك، قالت بهدوء: «انني حقاً لا أعرفك يا رايان. انك لا تريدني ان احبك. اليس كذلك؟»

فوضع شوكته على حافة الطبق بعنف احدث قرقعة، وقبل ان يدير وجهه إلى النافذة ليحدق في البحيرة، لمحت تحت قناعه الجامد ذاك الذي كان قد سقط عن وجهه تلك اللحظة، رجلاً وحيداً معذباً تحت ذلك القناع.

أجاب قائلاً: «كلا.» وكانت لهجته من الخشونة بحيث اجفلتها وهو يقول: «كلا، لا أريد. ولماذا ابتليك بهذه المصيبة؟ لقد اقترحت هذه الخطوبة لكي تكون حلاً آمناً لمشكلة. ولكن ليس ثمة أمان في الحب.»

حول نظراته عن النافذة بعنف، واستدار يواجهها، ثم تكلم ليسألها قائلاً بصوت أجش: «ولكنك لا تحبينني، أليس كذلك؟»

حدقت انجيلا في وجهه المتحجر الملامح وعينيه الكئيبتين، وأخذت تغالب دموعها التي لم تكن تريده ان يراها. لقد كانت امرأة صادقة، يؤلمها ان تجيب عن أهم سؤال في حياتها، تجيب عليه بالكذب. ولكنها كانت تعرف أنها إذا اخبرته بالحقيقة الآن، فهو سينهض ليتركها حيث هي بطبقها المليء أمامها، وعينا تلك المرأة ذات الثوب الأحمر تستقر عليها مستطلعة.

وإذا هو تركها، فلن تراه بعد ذلك قط. انها تعرف هذا

تماماً، وإن كانت لا تدرك على وجه التحديد ما الذي جعلها تعرف.

قالت بابتسامة مغتصبة لم يبد عليه أنه لاحظها: «كلا. إنني لا أحبك طبعاً، اكثر مما تحبني أنت.»

فرمقها بنظرة هادئة مطمئنة ما مسّ شفاف قلبها، ثم قال بصوت منخفض: «هذا حسن، إذن.» وبعد فترة، عاد يقول: «حسناً، هل ستكون خطبة طويلة نهايتها الانفصال، أم زواجاً دون ارتباط؟»

ابتسمت أنجيلا وهي ترتجف، ثم قالت: «انك تقول هذا بكل برودة ورباطة جأش. ثم انني لم استطع ان ادرك قط الفائدة التي تعود عليك من وراء ذلك.»

فابتسم لها ابتسامة غريبة متعبة هزت قلبها بعنف، وهو يجيبها قائلاً: «ولا أنا أدركت ذلك بوجه عام. ما عدا انها سترضي اسرتي التي تحبني. ولكنك أكدت لي أنك لا تريدين خطبة إلا بقصد الزواج وعليّ ان اعترف أنه مما يسرني كثيراً ان اخمد اكثر موضوعات القيل والقال، حرارة في كاليه كوف.»

مد يده عبر المائدة يمسك بيدها. وعندما نظرت في عينيه الرماديتين، فارقها المنطق كالعادة، فقالت: «نعم. حسناً، فلنستمر في ذلك.»

فقال بجفاء: «ان لهجتك توحي وكأنه اتفاق انتحاري. صدقيني، ان ليس عندي نية في ان اكون معك في تلك الحفلة المسمومة.» وتلاشت النظرة الغريبة التي كانت تبدو في عينيه الآن. وضحكت انجيلا.

انهيا تناول الغداء دون أي مزيد من فضول السيدة ذات

الرداء الأحمر، وبعد ذلك وكما قال خرجا يتمشيان اميالاً عديدة على مدى ضفاف البحيرة الهادئة، وصاعدين المرتفعات الشاهقة حيث شلالات ماريمير حيث كانت أنجيلا تعلم ان سارة سبق وجاءت مع بريت قبل زواجهما، إلى هذا المكان. وأثناء صعودهما في سيارة رايان للعودة إلى المنزل، كانت قدما انجيلا قد تقرحتا من طول المسير، كما كانت تشعر بنعاس ممتع، آملة بأن تحفظ تمارينها اليومية المعتادة، مفاصلها من أن تتصلب في اليوم التالي.

وفيما بعد، صنعت العمة شارلوت الشاي وهي تعلن قائلة ان ليس لديها ابن أخ يتزوج في حفل بسيط.

ادركت انجيلا بأنها ورايان لن يتمكنا من اتباع خطته في ان يكون العرس مجرد حفلة عائلية صغيرة. وأمها لا بد ان تغضبها هذه الفكرة هي ايضاً. بصرف النظر عن ان هذا هو العرس الثاني لها. كم يبدو لها الآن ذلك العرس بعيداً وعديم الأهمية.

كان الظلام قد حل، عندما وصل رايان بسيارته إلى خارج منزلها بعد ان استمتعا بالوجبة الدسمة التي قدمتها لهما شارلوت. وشعرت أنجيلا بشيء من التوتر. هل سيصر رايان على الدخول معها إلى المنزل؟ وإذا هو فعل، فهل ستسمح له؟ وازدرت ريقها، ولم تعرف ما إذا كان عليها ان تسمح بذلك أم لا. ذلك انه ليس من السهل ان تكون مخطوبة لرجل لا يبادلها الحب.

ولكن، عندما توقفت السيارة، لم يفعل سوى ان مد يده إليها يصافحها مودعاً وهو يقول بمرح: «إن الوقت متأخر،

وأبي وعمتي سيظنان بنا الأسوأ إذا أنا لم ارجع إليهما. سأتصل بك هاتفياً.»

أومأت أنجيلا برأسها قائلة: «نعم.» ثم فتحت باب السيارة ومشت على الممر المرصوف بالحصى، وهي تقول: «شكراً. لقد كان... نهاراً جميلاً.»

فابتسم وقد بدت عليه خيبة الأمل وهو يقول: «انك تتكلمين كعمتي تماماً، لا عجب في أن طلبت منك ان تتزوجيني.» ورفع يده محيياً، بينما ضحكت انجيلا برقة وهي تركض في الممر نحو الباب.

عندما وضعت المفتاح في القفل، لاحظت أن السيارة مازالت واقفة في الممر. ولكنها ما أن وضعت قدمها داخل المنزل، حتى تبخر كل تفكير في رايان فقد كان هناك رائحة غريبة قادمة من المطبخ فأضاءت النور ثم اسرعت تجتاز القاعة.

كان الدخان يتصاعد من الفرن ممتداً نحو الجدران ليحيلها إلى لون رمادي. وتأوهت أنجيلا. فالقدر التي كانت وضعت فيها البازلاء هذا الصباح، لكي تضعها في الثلاجة حالما تبرد، قد نسيت كل شيء عنها، ايمكن أن تكون قد فتحت مقياس التوقيت بذهن غائب على غير عائدتها؟ وتأوهت مرة أخرى. يا له من تساؤل احمق. فمن الواضح أنها قد فعلت ذلك.

وأمسكت بالقدر بيد، وأغلقت أنفها بالأخرى، ثم تقدمت تغلق باب الفرن.

اتجهت انجيلا إلى صندوق القمامة وهي تمتم باستياء، وقد حملت القدر مادة ذراعها بها تبعدها عن جسمها.

وأثناء عودتها إذا بها تلمح، بطرف عينها، شيئاً أبيض يقف في الطريق الذي يقود إلى منزلها.

كانت سيارة رايان ألفا روميو ما تزال واقفة هناك بينما المحرك يدور.

الفصل العاشر

وقفت انجيلا وقد وضعت، دون وعي منها، يدها على قلبها، ان رايان لم يذهب بعد، ما الذي يفعله هنا؟ لا بد ان ثمة شيئاً قد حدث.

وتقدمت ببطء نحو الطريق حيث السيارة، وهي تحمل القدر المحروقة في يدها.

وسألته: «ماذا جرى؟ ألست بخير؟»

فارتفعت نظراته إليها وقد بدا على ملامحه، للحظة، انه غير متأكد ممن عسى ان تكون، وما لبث الادراك ان عاد إلى ملامحه وهو يقول بهدوء: «كنت افكر.»

فقالت: «بماذا كنت تفكر؟»

فأجاب: «افكر بنا، بي وبك، وكيف حدثت اشياء لم اكن اتصور انها قد تحدث.»

كان صوته هادئاً وهو يتحدث، ولكن انجيلا شعرت بأن هذه الكلمات الرقيقة تخفي الكثير من الاحباط المميز. وعندما اضاف منفعلاً: «وما الذي تفعلينه هنا؟» علمت انها كانت محقة في شعورها هذا.

فأجابت: «كنت فتحت مقياس التوقيت في الفرن قبل ان اخرج من المنزل هذا الصباح، وذلك بطريق الخطأ. وها انذا ألقي الآن، في القمامة، الطعام المتفحم في القدر.»

قطب رايان جبينه قائلاً: «كان من الممكن ان تحرقي المنزل.»

www.elromancia.com

فقالت بسخرية: «اشكرك لاخباري بذلك، فقد كان هذا غائباً عن ذهني تماماً.»

فقال بضجر: «لا تتهمكي هكذا.»

كان الآن دور انجيلا لتعقد حاجبيها، لأنها بعد ان رأته عن قرب في ضوء القمر الباهت ادركت ما يبدو على ملامحه من ارهاق. وتذكرت انه كان مؤخراً، قد ارهق نفسه جداً بالعمل.

قالت فجأة: «الأفضل ان تدخل وتتناول فنجاناً من القهوة، فانك من الارهاق بحيث لن تتمكن من القيادة.»

ظنت انه قد يناقشها في ذلك، مثل كثير من الرجال الذين يخشى الواحد منهم على كرامته كرجل، ان يعترف بعجزه عن القيادة. ولكنه لم يفعل ذلك، وانما اومأ برأسه قائلاً: «نعم، ربما كنت على حق.»

بعد ذلك بعشر دقائق، كان متمدداً بجسده الطويل، على الأريكة وقد وضعت هي صينية القهوة والبسكويت بجانبه. ولكنها عندما تقدمت لتناوله الفنجان، رأته قد سبق واغمض عينيه. فأعادت الفنجان إلى الصينية بهدوء، ثم نهضت تلتقط جاكتته الجلدية التي كان تركها تسقط من يده متكومة على الأرض.

وبينما كانت تعلقها بحذر على ظهر كرسي خشبي، سقطت محفظته من الجيب، فانحنت تلتقطها، لترى شيئاً ابيض ملقى على السجادة.

كانت صورة فوتوغرافية لفتاة ذات عينين سوداوين كبيرتين وشعر بني قصير. ودون ان تفكر، ادارت انجيلا الصورة لترى ان كان لتلك الفتاة اسم.

وكان لها اسم فعلاً، وهو كوني وفوق امضائها كانت هناك كلمات قليلة تقول: «إلى رايان، الذي فضل سعادة امرأة اخرى على سعادتي، ولم يكن حبه لي كافياً لكي يجعله يبرىء اسمه. الوداع، وشكراً للذكريات.»

شهقت انجيلا، وتعثرت وهي تتقدم نحو الكرسي، ما جعلها تتشبث بها فتوقعها إلى الأرض. وعندما انحنت تقومها، رأت عيني رايان مفتوحتين ومسمرتين عليها بارتياب.

سألها: «ما الذي تفعلينه؟»

أجابت: «كنت اعلق جاكتتك، فسقطت منها محفظتك وهذه.» ومدت إليه يدها تريه الصورة. فقال: «فهمت.»

ادركت حالاً انه يظنها كانت تتطفل على جيوبه، وجعلها التعب والشكوك التعسة التي تملكتها طيلة النهار، تقول بحدة: «كلا، انك لم تفهم، لم تفهم شيئاً ابداً. لقد سقطت الصورة على الأرض فالتقطتها. ونعم، لقد قرأت ما كتب خلفها، ولكن دون قصد، كما انني لا اريد ان أعتذر لذلك. خذها فأنا لا اريدها طبعاً.» وناولته الصورة.

رفع رايان نظراته إليها، وقد تلاشت الريبة منها، ليحل مكانها كآبة وشرود. وسألها: «الا تريدين ان تسالينني عمن تكون صاحبة الصورة؟»

فأجابت: «كلا، وانما انت ستخبرني اذا شئت لي ان اعرف.» وولت بعيداً لا تريده ان يرى انه جرحها.

لم يجب. وكانت على وشك العودة إلى المطبخ، عندما شعرت بيده على معصمها.

قال برقة: «تعالي واجلسي يا انجيلا، ان لك الحق في أن

تعلمي السبب الذي جعل كوني تكتب هذه الكلمات، وان كنت لا احب التحدث عن ذلك في الأحوال الطبيعية.» وادارها ثم سار معها عائدين إلى الأريكة.

جلست انجيلا إلى جانبه، واضعة يديها في حجرها وهي تحدق في المدفأة الخالية. وبعد فترة، قال رايان: «كانت كوني هي الفتاة التي كنت اريد ان اتزوجها، وذلك منذ سنوات كثيرة. وقد تركتني بعد ان علمت ان بامكاني ان أبرىء اسمي ولكنني رفضت أن افعل ذلك. واظنها شعرت ان من واجبي تجاهها ان اقدم إليها سمعة غير مشوهة. وهذا ما تعنيه هذه الصورة والكتابة.»

ألقت انجيلا نظرة على وجهه الذي كان لا يعبر عن شيء، ثم عادت تنظر إلى المدفأة، وهي تسأله: «ولكن لماذا لم تجبها إلى طلبها؟ وذلك لمصلحتك ومصلحة ابيك؟ انني اعرف انك قلت انك لا تريد ان تضيع المزيد من حياتك في معارضة النظام، ولكن...»

فقال: «تعنين انه اذا كانت تلك هي مشكلتي الوحيدة، فلماذا لا ابذل جهداً لأجل المرأة التي احببت؟ من سوء الحظ ان المسألة ليست بهذه البساطة.»

قالت: «كلا، لا يمكن ان تكون كذلك.»

تابع كلامه وكأنها لم تقل شيئاً: «كان ذلك بعد سنة تقريباً من خروجي من السجن، وكنت قد انفصلت حديثاً عن فتاة تدعى آمي كنت قد اخبرتها عن ماضي. وقد عرفت كوني عن ادانتي، وفي البداية لم تظهر اهتماماً بالأمر وابتدأت انا احلم... لم اكن قد تعلمت بعد، ان الأحلام تتلاشى اذا انت حاولت الامساك بها، لأنني كنت شاباً صغيراً قليل الخبرة،

وطبعاً، تحرقني العواطف المحتدمة المكبوتة، ثم، تلقيت رسالة من امرأة قالت انها تريد أن تريح ضميرها، وظهر انها كانت شاهدت الحادثة التي اودت بي. وكانت مقتنعة بأن اللوم لم يكن يقع علي. ولم تتقدم للشهادة ذلك الحين، لأنها سيدة متزوجة وكانت جالسة في مطعم مع صديق. قالت الرسالة ان زواجها قد عاد فاستقام واصبح سعيداً، سواء صدقت هذا ام لا، ولكن، مع ان زوجها سيحطمه ما ستقود إليه شهادتها من تركيز الأنظار على شؤونها وما يتبع ذلك من نتيجة لا مناص منها لنشر شهادتها على الملأ تعلن بها براءته، مع هذا فانها كانت مستعدة لنشر بيان لمصلحتي.»

استدارت إليه وقد بدت الحيرة في وجهها المقطب الحاجبين، وهي تقول: «وأنت لم تقبل بعملها هذا لأجلك.»

ورأت عضلات وجهه تتوتر. وهو يجيب: «كلا.» والتقت عيناه بعينيها بشيء من التحدي وكأنه يريدها أن تناقشه، ثم تابع قائلاً: «عندما تلقيت الرسالة، شعرت، في البداية، بالغضب. فقد كان لشهادتها أن تنقذني من السجن. ولكن، عندما ذهبت لمقابلتها، رأيت مخلوقة حلوة مثقلة بالشعور بالذنب لا شك انها تألمت كثيراً لاضطرارها إلى السكوت، وكانت بعد فوات الأوان، على استعداد لكي تتحمل من الآلام اكثر من ذلك في سبيل تقويم الأمور. وفجأة، لم اعد ارى فائدة من ذلك، فكرت في انني قد سببت كثيراً من الآلام. وقد كنت سائراً بدراستي وحياتي على ما يرام، وليس ثمة سبب وجيه يجعلني ادمر سعادة رجل آخر، هذا إلى جانب ان هذه كانت فرصتي الوحيدة لأمثل دور الشهيد.»

www.elromancia.com

فسألته: «ولكن، ماذا عن كوني، وابيك؟»

فأجاب: «حيث انني، في ذلك الحين، لم اكن على اتصال مع ابي، فقد اعتقدت بحماقة مني، انه لن يهتم.» وابتسم رايان ابتسامة حزينة جافة جعلت دموعها، فجأة، تكاد تتفجر من عينيها، وعاد يقول: «ربما يسرك ان تعلمي ان ابي وعمتي شارلوت قد شاهدا الرسالة. وقد وافقاني على انه ليس ثمة فائدة من اعادة فتح الجراح القديمة، والتسبب بالآلام للآخرين لمجرد تبرئة اسمي رسمياً وعلناً.»

والتوى فمه بسخرية وهو يتابع قوله: «ان ابي، عدا عن الناس جميعاً، علم ان مدينة كاليه كوف لن تقبل ابداً اعلان براءتي... فقد تسببت بكثير من المشكلات في حداثتي... وقد اعتاد ابي لهذا، ان يكون موضعاً للعطف يغرقه به اهالي المدينة. واظنه كان يستمتع بذلك، ولكن، في حالة تساؤلك، نعم، فأنا رسمياً، قرأت الرسالة لشخص او اكثر من ذوي الشأن الذين يهمهم ذلك، ولكنني لم اندم قط على تصميمي بأن ادع الأمر على ما كان عليه.»

فسألته: «ولكن، لا بد ان كوني...»

فقاطعها: «كوني لم تتفهم الأمر، وأنا لا الومها، واذا انا عدت بذهني إلى الماضي، اعلم انه كان علي ان ادرك انها قد انجذبت الي في البداية لأجل سمعتي تلك قبل كل شيء، فقد كانت ما تزال في العشرين، واظنني كنت امثل تمرد المراهقين الذي لم تكن هي قد تجاوزته نضجاً. ثم ابتدأ الواقع، وقابلت هي طالب طب قال الجميع انه سيتابع دراسته إلى النهاية، وادركت ان عليها ان تختار بين محام سيكون

هناك دوماً همس حول اسمه وبين طالب الطب هذا الذي لن يجتذب اسمه سوى الاعجاب.»

قالت انجيلا: «ولكن، لو كانت تحبك...»

فأجاب: «لم تكن تحبني، بالطبع، فقد ظنت ذلك لفترة. وقد كشفت تلك الرسالة الحقيقة بالنسبة إليها، كما اظن. فقد قدمت لها، في النهاية عذراً مقنعاً لاختيار صديقها طالب الطب، ذلك المسكين.»

وفجأة اشرق الفهم في ذهن انجيلا، فقالت: «آه، اذن فهذا هو السبب في انك لا تثق بالحب، وانك لا تمنح المرأة ثقتك...»

فقال: «كلا. كلا يا انجيلا، لا تظني ذلك ابداً، فالموضوع هو ليس انني لا اثق بنفسي. ولا اريد من احد ان يعتمد علي معتبراً اياي صخرة في عاصفة. فقد سبق وخذلت كثيرين في حياتي، ولا اريد ان يحدث ذلك مرة اخرى. انني احتفظ بصورة كوني لكي اتذكر دوماً ان الحب ما هو سوى شرك يقع فيه عديم الوعي. فلو كنت نزلت عند مشيئتها واستعملت تلك الرسالة لكي ابرىء نفسي، ربما كنا انتهينا إلى الزواج الذي كان يمكن ان ينتهي إلى كارثة. اذ ستتابع فرض ارادتها لتجعل مني شخصاً لا يمكنني ان اكونه، وكنت سأحتقر نفسي لتدميري السعادة الزوجية لذلك الرجل السيىء الحظ وزوجته النادمة.»

انتقلت انجيلا إلى طرف الاريكة الآخر، ثم قالت: «اتعني ان هناك ما يدعى سعادة زوجية؟» وحاولت ان تبعد التهكم عن لهجتها وهي تقول ذلك. انه بحاجة إلى شيء ينفض عنه ثقته الشديدة بنفسه هذه. فقد صهره الألم... طفولته، فتوته

الضائعة، خطأ، ذنب موت رجل آخر، السجن، كوني... ثم اعادة بناء شخصيته واعتباره اجتماعياً، وذلك تدريجياً، ثم سنوات امضاها في منع فتيان آخرين من السير في نفس الدرب الذي سلكه هو. لقد رأى وتألم اكثر مما يمكن تغييره الآن.

أجاب بخشونة: «طبعاً، فانا متأكد من ان هناك شيئاً يدعى السعادة الزوجية. بشرط ان لا يكون الزوجان من الحماقة بحيث يظنان انهما واقعان في الغرام. وهذا هو السبب في اعتقادي اننا، نحن الاثنين، متناسبان تماماً.»

لكن انجيلا لم تكن تريد ان تكون مناسبة، كانت تريد الحلم الذي لم يكن يؤمن هو به. الحلم الذي لم تكن تؤمن هي به أيضاً مدة طويلة. ولكنها تغيرت الآن. ويبدو ان هذا ما يفعله الحب بالانسان، ولكن رايان لا يحبها، وهكذا هو لن يتغير.

وبشعور حزين، مدت يدها إلى فنجان قهوته، وكان قد اصبح بارداً الآن، فعادت تفرغه في ابريق القهوة من جديد، ثم حملت الابريق إلى المطبخ تعيد تسخينه.

عندما عادت إلى غرفة الجلوس، كانت شبه متوقعة ان ترى رايان نائماً، ولكنه، لدهشتها، كان جالساً وقد جثم آل على اصبعه. وكان الاثنان، كما يبدو، مندمجين في لعبة من يطرف باهدابه اولاً فوقفت تراقبهما.

ولكن آل ربح بسهولة، ورفعته هي لتضعه على كتفها، ولكنه سرعان ما قفز ليجثم على رأسها.

رفع رايان حاجبه وضحك. ولم يعد ممكناً بعد ذلك متابعة اي حديث جاد.

هذا إلى انه لم يبق هناك ما يقال.

جلست انجيلا إلى مائدة الافطار وهي تنظر إلى رايان عبر المائدة، وكان هو يحدق في بقايا طعامه، بجمود.

عندما انهيا قهوتهما ليلة امس، كان الوقت متأخراً جداً، ولم يكن يبدو على رايان الرغبة في الذهاب، كما ان انجيلا لم يطعها قلبها ان تطلب إليه ذلك. وعندما ابتدأت الشمس ترتفع فوق الأشجار، في فيض من اللون الوردي الشاحب، اقتنعت بأنه ليس من العقل في شيء الذهاب إلى منزله الآن، فعرضت عليه تناول الفطور.

قبل هو بعد لحظة تردد ثم اخذ يتناول طعامه دون ان ينطق بكلمة، وقد بدا مستغرقاً في ازدراد بيضة مسلوقة.

حدقت انجيلا في قمة رأسه، ثم سألته: «ماذا جرى؟ هل تعاود افكارك؟»

دفع شوكته في الصحن وهو يجيب سائلاً: «بشأن ماذا؟»

فأجابت: «بشأن مهزلة الخطبة هذه، بالطبع ان ليس عليك ان تستمر بها طويلاً، كما تعلم.»

فقال: «انك لا تكفين عن هذه السيرة المملة دون اي تجديد. فاذا كنت تحاولين ان تضجريني لكي تحمليني على تغيير رأيي، فقد تنفع هذه الطريقة.» بدا في لهجته من التهكم والمرارة بحيث لم تعرف انجيلا معه ما اذا كان عليها ان تقذفه بالمملحة لكي يملّح بها جروحه، ام تنهض إليه وتربت على كتفه.

رفع رايان رأسه بعد برهة قائلاً: «آسف، فقد كان هذا شيئاً لا داعي له.»

قالت برقة بعد ان رأت مقدار الارهاق الذي يبدو عليه: «لماذا تبدو مكتئباً هكذا؟»

هز كتفيه، وقد بدت عيناه شاردتين، بلونهما الرصاصي، وهو يقول: «أظن عدم النوم قد ادى إلى التفكير في الواقع.»

سألته: «وكيف ذلك؟»

فأجاب: «ابتدأت ارى ان الحق معك. فالزواج بغير اقتناع لا يمكن ان يصلح.»

خفق قلبها. لقد كان الحق معها طبعاً. ولكنها كانت تتمنى لو كانت مخطئة. وقالت بفتور: «هذا صحيح. ربما لن يصلح، ولكن هذا بالتأكيد، لا يهم رجلاً لا يفكر بالالتزام بعد الزواج.»

فألقى عليها نظرة ساخرة وهو يقول: «كلا في الواقع، وهذا يتركنا امام خيار او خيارين.»

«وما هما؟»

فتنهد بملل، ثم ضرب جبهته بقبضته وهو يجيبها قائلاً: «انني اسحب كلامي لأن هناك خياراً واحداً فقط، اليس كذلك؟»

ولم يكن بها حاجة إلى سؤاله عن كنه هذا الخيار، ذلك ان رايان اراد ان يوقف كل شيء والذي هو بطبيعة الحال، الشيء العقلاني الذي يمكن القيام به.

قالت ببطء: «رايان، هل تظن...» وسكتت وقد نسيت ما كانت تريد قوله.

ضاقت عينا رايان، ثم سألها: «هل أنت بخير يا انجيلا؟»

أجابت: «نعم، طبعاً أنا...»

فجأة، اخذت الغرفة تدور امام عينيها، وعندما نظرت إلى طبقها، استحالت البيضة امامها إلى كناري. وآل كان

رمادي اللون ملطخاً بالوان مختلفة كما انه لا يستطيع الغناء، وعندما سقط رأسها في الطبق، سمعته يقول: «كراك» عدة مرات.

تمتم رايان ثم حملها بين ذراعيه.

عندما استيقظت انجيلا، كانت الشمس تميل نحو الأفق، فأدركت ان الوقت لا بد ان يكون العصر. وكان مستلقية على فراشها ورايان نصف مستلق على الأريكة كانت موضوعة في الطرف الآخر من الغرفة. كانت ساقه منزلقة إلى الأرض، بينما هو مستغرق في النوم. لا بد أنه كان اشد ارهاقاً مما كانت.

جلست في السرير بهدوء وتحرك هو وتمتم شيئاً اثناء نومه، ولكنه لم يستيقظ.

نهضت وحدقت في اهدابه الطويلة المسدلة على وجنتيه اللتين لم تظهر عليهما الصلابة المعتادة اثناء الرقاد، وإلى شعره الذهبي الداكن المتناثر حول وجهه وجبهته. بدا مسالماً ضعيفاً وهو نائم، لا يشبه بحال ذلك الرجل المتحفظ المنضبط الذي تعرفه.

واثناء تحديقها في صدره الذي كان يعلو ويهبط، رأته يحرك ذراعه وكأنه يفتش عن شيء، وتملكها شعور جارف بالحنان نحو هذا الرجل الصعب. ولمست شعره وقد غمر قلبها اليأس، لأنها كانت تعلم ان الوقت قد حان لتقول وداعاً لذلك الأمل الأحمق الذي جعلها تقبل عرض الزواج منه. وليس لأجل مصلحته هو، وايضاً لاهتمامه بسمعتها في هذه المدينة التي تحصل فيها معيشتها رغم كرهها هي لها. لقد كان رايان رجلاً قوياً غير قابل للافساد، ولكن ماضيه قد

دمر شيئاً في اعماقه، حارماً اياه من تسليم قلبه إلى امرأة.

لقد سبق واعترف بأن زواجهما لن يصلح، وإن هذه الفكرة كانت خطأ، انه لا يريد حبها، وهي متأكدة من ان الشيء الوحيد الذي بامكانها ان تقوم به لأجله الآن، هو ان تحرص على ان لا تدعه يعلم بمقدار حبها له... وبهذا، تمكنه من ان يتركها بهدوء دون احراج لحظة الوداع.

مشت وهي تغالب دموعها، وتوجهت نحو المطبخ وهي تتعثر في طريقها.

كان على المنضدة دفتر، اخذت منه ورقة واحدة وتناولت قلماً ثم اخذت تخط له رسالة تقول فيها:

عزيزي رايان، اشكرك للأوقات السعيدة التي امضيتها بصحبتك، انني اعلم ان قصدك في كل ما قمت به كان لمصلحة الجميع، ولكنك كنت بالطبع، محقاً عندما سبق وقلت ان زواجاً غير مبني على الاقتناع، لا يمكن ان يصلح. ولكي اعفيك من البحث عني فقد صممت على قضاء عدة ايام مع اسرتي. هل بامكانك ان تطلب من روبين الغاء مواعيدي؟ الطعام في المطبخ رهن مشيئتك. سآخذ آل معي. وأرجو لك حظاً سعيداً في قضية الجزمة، وانتبه إلى نفسك. انجيلا.

كانت جملة انتبه إلى نفسك غير مقروءة، لأن القلم كان يريد ان يكتب احبك ولكنها لم تسمح بذلك.

بعد ذلك وجدت في خزانة الردهة، حذائين خفيفين، ثم حملت حقيبة يدها وقفص آل، ومن ثم سارت على اطراف اصابعها نحو باب غرفتها.

وخنقتها غصة، فأغمضت عينيها واستدارت مبتعدة، ذلك انها اذا بقيت لحظة واحدة، فلن ترحل ابداً.

ترنحت وهي تتجه إلى سيارتها لا تكاد ترى ما امامها. دخلت البويك بينما كان آل في قفصه بجانبها، يطلق صوت احتجاج رقيق من حلقه.

وسقط رأس انجيلا لحظة، على عجلة القيادة، وعندما رفعته كانت سحب سوداء تتجمع فوق قمم الجبال، لقد انتهت موجة الحرارة.

تمتمت انجيلا: «يا للهول!» وكأنما لم يكن ينقصها سوى هذا. لقد كان امامها، على الطريق الذي يتجه من كاليه كوف إلى الطريق الدولي، شاحنة قد انزلقت على جانبها تسد الطريق.

وخلفها، كان خط من العربات يزداد باستمرار. اطل رجل ملتح متوسط السن، من سيارته امامها، وابتدأ يصرخ بكلام بذيء لسائق الشاحنة الذي كان يطل من عربته.

ورد عليه السائق: «اخرس، اذا كنت تظن ان بامكانك انهاء هذا الأمر فتفضل.»

فرفع سائق السيارة صوته قائلاً: «لا شك انك حصلت على اجازة القيادة من صندوق بوشار.»

وأضافت امرأة كانت وقفت لتوهها خلف انجيلا، صوتها إلى هذا الجدال، وسرعان ما كان نصف الموجودين قد اصبحوا خارج سياراتهم يتصايحون. وتملك الهياج سائق الشاحنة، فقفز إلى الطريق واخذ يهز قبضتيه.

تأوهت انجيلا قائلة: «آه، لمَ لا تخرسون جميعاً وتدعون له الفرصة لكي يعالج شاحنته ويعود بها إلى الطريق؟» وتشبثت بعجلة القيادة بعصبية، فهي لم تستطع ان تحتمل

كل هذه الضجة، كان كل ما تريده، هو ان تتابع رحلتها عائدة إلى حيث اسرتها الحبيبة، معهم قد يمكنها ان تستعيد شيئاً من سكينة النفس.

وزعق آل مساهماً في هذه الضجة: «كراك، كراك، كراك.»

عادت انجيلا تتأوه وهي تغطي عينيها، وفي لحظة واحدة، سمعت المطر يتساقط على السطح المعدني للسيارة، ليصل إلى مقبض نافذة السائق، وابتدأت تقفل زجاج السيارة. ولكنه لم يتزحزح. تنهدت وهي تلتفت لترى السبب، واذا بها تجد نفسها تحدق في العينين الرماديتين اللتين كانتا تشبهان قطعتين صلبتين من الرصاص. وادركت لتوها، ان صاحب هاتين العينين لم يكن اسعد منها حالاً.

وفي الواقع، لقد ذكرها بقرصان ذي شعر ذهبي داكن اللون يتطلع إلى عنق ليقطعه.

كانت يده تضغط على زجاج نافذتها يمنعه من الارتفاع، وهو يقول بحدة: «اخرجي.»

وحدقت انجيلا في وجهه الذي كان بالغ الشحوب، ولكنها لم تكن تشعر بأمان يجعلها تطمئن إلى الخروج من السيارة.

الفصل الحادي عشر

همست أنجيلا: «رايان.»

فعاد يكرر قوله: «أخرجي.»

وعندما لم تتجاوب معه، فتح الباب بعنف، وانحنى، ثم أمسكها بيديه.

وتاهت أفكار انجيلا، بعد ذاك، وهي بين ذراعي حبيبها، غافلة عن المطر، وعن السائقين الغاضبين، وصف السيارات الذي كان يمتد باستمرار.

لقد نسيت تماماً أنها كانت تحاول الهرب منه، ولكن عندما ابعدها عنه بعنف وهو يقول: «ما هو هدفك، من الهرب مني؟»

أوشكت سرعتها في العودة إلى عالم الواقع، ان تحملها على السقوط لو لم يكن ممسكاً بمرفقيها. فغصت بريقها وهي تركز النظر على قميصه الذي ألصقه البلل بصدره. وتمتمت تجيبه: «كان في الرسالة التي تركتها لك أنني أعفيك من البحث عني.»

فقال ببطء وهو يدس يده في شعرها البني المبلل: «سأجري عليك البحث الذي ينهي كل البحوث.»

القى نظرة على ثوبها الذي كان مشبعاً بماء المطر، ثم أضاف يقول ثائراً: «أو سأبقى ممسكاً بك أمام هذه الجموع الذين يظنون انك هنا لتعزية ضحايا السير من الرجال.»

نظرت أنجيلا حولها لترى العديد من الرجال قد ألهاهم

منظرها حقاً، وكانوا يطلون من سياراتهم يحملقون في ثوبها المبلل.

قالت: «إنه ذنبك انت. فقد اخرجتني إلى حيث بلل المطر ملابسي ما جعلني التصق بهذا المكان...»

فقاطعها قائلاً: «كلا، هذا غير صحيح. هيا، عودي أدراجك في نفس الطريق حيث سيارتي هناك في المنعطف مواجهة للمنزل. أما أنا فسأوقف سيارتك إلى جانب الطريق ثم ناتي لاحضارها صباح غد.»

وعندما لم تتحرك، أدارها بيديه، ثم دفعها برفق لكي تبدأ المسير، وهو يقول: «هيا، وسألحق بك.»

فقالت محتجة: «ولكنني ذاهبة إلى تاكوما.»

فأجاب بحدة: «إنك لن تذهبي إلى تاكوما وإلا فستصابين بذات الرئة حال وصولك إلى هناك بتأثير ملابسك المبللة هذه. هذا عدا عن أننا، أنا وأنت، لدينا عمل علينا أن نقرره.»

فاستدارت تنظر إليه، ولكنه كان قد سبق ودخل سيارتها. ورأت من انطباق فكيه ما لم يشجعها على أيّ اعتراض.

وازداد هطول المطر، ملصقاً شعرها برأسها ليصبح كقماش الساتان المبلول. وكانت الشاحنة لا تزال تسدّ الطريق، مع أن سائقها كان يحاول أن يحركها. وقالت: «آه، هذا حسن جداً، أظن لم يبق أمامي سوى هذا!» وكانت تعني بكلامها مراهقاً كان يطل عليها من عربته وهو يغازلها.

فلم تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أم تنخرط في البكاء، ومشت مترنحة على جانب الطريق متجهة إلى المنعطف. وما أن استدارت حوله، حتى كان رايان قد لحق

بها. وبعد لحظة كان يدفعها داخل سيارته الالفاروميو. ثم يتهالك بجانبها ومن ثم مضى يقود السيارة مسرعاً باتجاه المنزل.

وما أن أصبحا داخل المنزل، حتى وضع رايان آل على المنضدة، ثم دفع أنجيلا التي كانت تقف في الردهة تنظر حولها بغباء، إلى داخل غرفتها.

وأمرها قائلاً: «هيا، استبدلي ثوبك المبلول هذا بآخر جاف.»

واستدارت أنجيلا التي كان الضباب في ذهنها يتبدد شيئاً فشيئاً وهي تقول بفتور: «إنني لست طفلة، يا رايان. وماذا بالنسبة إليك؟ إنك أنت أيضاً مغرق بماء المطر حتى العظم.»

فقال: «لا تقلقي بشأني، فسأتدبر أمري.»

فنظرت إلى وجهه، متسائلة عما إذا كانت قد سمعت حقاً رنة السخرية في لهجته تلك. ولكن ملامحه كانت، كالعادة، لا تعبّر عن شيء. وتنهدت، ثم دخلت إلى غرفتها لتغيّر ملابسها.

عندما خرجت بعدما بدلت ثيابها المبللة بثوب منزلي أبيض من القطن، كان رايان واقفاً أمام الموقد يصنع الشاي.

حدقت أنجيلا فيه. ثم ذكرت نفسها بأنها كانت تريده أن يخرج من منزلها. لأنها كانت متأكدة، إذا هو بقي أكثر من ذلك، من أنها ستفضح حبها له.

قالت له: «إنني بخير الآن. فليس عليك أن تبقى هنا، إنني أعلم أن عليك أن تعود إلى سيتل.»

فقال وهو ما زال يتابع تحضير الشاي: «نعم. أعلم هذا.» وعندما انتهى، رفع الابريق ووضعه على المائدة وهو يقول مشيراً إلى كرسي: «اجلسي.»

جلست أنجيلا مذعنة. فقد بدا أنها أصبحت عاجزة عن التفكير في أيّ أمر، وذلك بعد فشلها الذريع التعس ذاك في حمل رايان على الذهاب. وكانت تدرك، على نحو غامض، أنها، عاجلاً أم آجلاً، ستعود إلى تولي أمور حياتها مرة أخرى. ولكن ليس في هذه اللحظة... ليس في وجود رايان الذي كان يبدو، عبر المائدة، بمثل هذه الجاذبية الخطرة.

ابتدأ قائلاً: «حسناً، ما سبب كل هذا الذي قمت به؟»

أجابت بصدق: «لقد أردت أن أجعل الأمر بالنسبة إليك، سهلاً. فأنت كنت اعترفت بأن الزواج بيننا لا يمكن أن يصلح. ولهذا، فكرت في أن من الأفضل لنا أن نفترق دون ضجة ووداع وما أشبه.»

أراح رايان رأسه بين يديه، متكئاً بمرفقيه على المائدة، وهو يقول: «إنني لم أقل ان الزواج بيننا لا يمكن أن يصلح.»

فقالت: «ولكن...»

قاطعها قائلاً: «قلت إن الزواج الذي لا يقوم على الاقتناع، لا يصلح. وهذا ليس بنفس المعنى.»

أجابت مفكرة: «كلا. لا أظن ذلك، ولكن...»

فعاد يقاطعها: «ولكنه لن يقوم بغير اقتناع. أليس كذلك؟ هذا لأنك تحبينني.» وكانت عيناه، وهو يقول هذا، بالغتي العمق والجمود والتصميم.

فازدردت ريقها، محاولة أن تنظر بعيداً فلم تستطع.

وقالت: «إنني... أنا لا...» ولم تستطع أن تنهي كلامها.

فقال: «لا تحبينني؟ ولكن هذا ليس ما قلته أثناء نومك.»

همست: «آه، هل فعلت أنا ذلك؟ ولكن ذلك كان حلماً. وربما كنت قلته في حرارة الموقف، ولكن...»

ولكن رايان كان يهز رأسه قائلاً: «كلا. لقد تكلمت بكل وضوح وبطء. لأنك كنت تعنين ذلك. ربما، كما أظن، لأنك كنت تعرفين أنني موجود. والآن، انظري في عينيّ مباشرة، ثم أخبريني بأن هذا غير صحيح.»

ونظرت أنجيلا في عينيه. وكانت نظراته مركزة لا تتحرك. وللحظة واحدة، ظنت أنها رأت فيهما لمحة من قلق، وكأن حياته كلها معلقة بجوابها هذا، إلاّ أن هذه اللمحة تلاشت بسرعة، ولكنها رأتها.

ورفعت بصرها إليه. ولم يكن رايان قد تحرّك، فقد كان ينتظر، بصمت وجمود الصخر، ان تتكلم. ولم يكن أمامها خيار آخر سوى أن تخبره بما يريد أن يسمع.

وقالت: «نعم، هذا صحيح. إنني أحبك طبعاً.»

وبدلاً من أن تبدو من رايان أيّ حركة ايجابية، أغمض عينيه.

وعندما لم يفتحهما في الحال، قالت بحدة بالغة: «ولكن، لابأس، فليس عليك أن تقلق... إن هذا هو سبب هربي منك.»

وعند ذلك، فتح عينيه، وببطء شديد، افترت شفتاه عن أدفأ، واكسل، واكثر الابتسامات جاذبية رأتها في حياتها، ليقول بتلك اللهجة البطيئة التي تعشقها: «إنني لم أعد قلقاً بعد الآن.»

وقفت أنجيلا، ثم استدارت حول المائدة، وتقدمت إليه.

وبدت الغرفة، فجأة، بالغة الهدوء. ومرّت ثوانٍ قبل أن تدرك أن المطر قد توقف عن الهطول.

وعندما وصلت إلى جانبه، أخذ ينظر في عينيها فترة طويلة. وأخيراً، همست قائلة: «رايان... إنني لا أفهم... كنت أظن...»

فقاطعها قائلاً: «وكذلك أنا. ويا لي من أحمق.»

فقالت وهي تغالب رغبة في البكاء: «ماذا تعني؟»

قال: «أعني أنني أحبك إلى درجة لا تتصورينها، يا حبيبتي، وأنه قد اقتضى مني وقتاً طويلاً لكي أعلم أن الشيء الوحيد المهم في هذه الحياة، هو الحبّ والصداقة. وأن وجود الانسان قرب الحبيب، عندما يكون هذا بحاجة إليه، هو أهم كثيراً من أيّ استقلال خال من الشعور مهما كان في هذا من راحة للفكر والقلب. وأظن أن السبب الذي جعلني اقترح عليك ذلك النوع الأحمق المضحك من الزواج، هو أنني كنت أشعر، بطريقة ما، أنني وقعت في حبك منذ اللحظة الأولى التي قابلتك فيها، ولكنني كنت خائفاً من ألا تبادليني حباً بحب، ولا أريد أن أخسرك في نفس الوقت. ولكنني عندما استيقظت ووجدتك قد رحلت، أصابتني صدمة من الادراك المفاجيء لحقيقة أنني لن أستطيع احتمال الحياة بدونك.»

واستطرد قائلاً: «كان ذلك عندما أدركت أنني بحاجة إليك، وإلى الاعتماد عليك وعلى اخلاصك ووفائك على الدوام. لقد اقتضى مني أن اتخلى عن رغبتي في نصف حياة، اقتضى ذلك ثوان معدودة فقط بعد أن سمعتك تعترفين لي بحبك اثناء نومك، ولكن عندما استيقظت، كنت قد رحلت.»

وألقى عليها نظرة غريبة، ثم تنحنح وهو يستطرد قائلاً: «لحسن الحظ كنت اتصلت منذ شهور بأحد عملائي القدامى والذي هو الآن يعمل سائقاً لشاحنة.»

فشهقت انجيلا وهي تسأله: «أتعني انك...»

فقاطعها: «نعم، وقد ظفرت به وهو على وشك أن يترك المدينة.»

فقالت: «آه، أتعني أنه لم يكن هناك خطأ في الشاحنة؟»

فأجاب: «كلا، حسب ما أعلم.»

فقالت: «يا لك من ماكر مراوغ... و...»

فقاطعها: «ومحتال؟ اعلم ذلك، فإن غريزتي الآثمة تنفعني في بعض الأحيان.»

قطبت انجيلا جبينها. ذلك أنه ذكرها بشيء مازال يحتاج إلى ايضاح بينهما. ورأى هو تقطيبها هذا، فرفع ذراعيه عنها وهو يسألها: «نعم، انك تريدين ان تعلمي، أليس كذلك؟»

كررت كلامه تسأله: «أعلم؟»

فقال: «اذا كان لك أن تأمني جانبي من ناحية السكاكين؟» لقد عاد إلى شخصيته القديمة التي تعرفها جيداً، ما جعلها، فجأة لا تستطيع أن تواجهه.

فاستدارت على عقبيها واسرعت تغادر الغرفة. وأدركها هو في الوقت الذي كانت فيه تخرج آل من قفصه.

قال: «دعي هذا الطائر القبيح جانباً. فأنا أريد التحدث إليك.»

أجابت: «ان آل ليس طائراً قبيحاً وأظنك قلت انك لا تحب الأقفاص.»

فأجاب: «هذا صحيح. ولكن في حالته هذه، اعترف بأن هذا ضروري، ضعيه على سطح القفص.» ولكنها وضعته على كتفها. فهز كتفيه وهو يقول: «لا بأس. ما هي وظيفته هنا؟ أحارس هو، أم ليؤنس وحدتك؟»

أجابت: «الاثنين معاً.»

فابتسم بمكر، وهو يقول: «لا أظنني أحب كلامك هذا. تعالي اجلسي.» وعندما ترددت قال بنفاد صبر: «أنتما الاثنين.» وجرها إلى جانبه على الأريكة.

سألته: «ما هذا؟ هل تريد أن تخبرني...» وسكتت. كانت على وشك أن تقول (اتريد ان تخبرنيّ بأنك شقيّ مدينة كاليه كوف؟) ولكنها وجدت ان الأمر ليس مزاحاً.

قال وهو يتهالك على الأريكة: «انني سأخبرك بما كان حدث تلك الليلة.»

تابع هو كلامه بعد فترة، بلهجة متوترة لم تسمعها منه من قبل فيقول: «انه شيء أحاول أن لا أفكر فيه. فليس ثمة فائدة. فقد انتهى الأمر منذ سنوات طويلة. وليس في امكاني ان اغير الماضي.»

فقالت: «ولكنك كنت أخبرت كوني...»

فقاطعها: «لقد اخبرت كوني طبعاً. فقد كنت أريد أن أتزوجها، وكان لها كل الحق في أن تعلم كل شيء عني، مثلك تماماً.»

قالت أنجيلا وهي تلاحظ لهجته المتوترة مما علمت معه بالصعوبة التي يجدها وهو يتحدث: «نعم. لا بد أن الأمر كان... صعباً بالنسبة إليك.»

أجاب: «نعم. يمكنك أن تقولي ذلك.» ولم ينظر إليها.

وفجأة، شعرت أنجيلا بالخوف، فهي لم يسبق أن سمعت رايان يتكلم بلهجة السوقة التي يتحدث بها الآن، ما جعله يبدو غريباً أمامها.

قالت بسرعة: «ليس عليك أن تخبرني.»

أجاب: «بل عليّ ذلك. لن يكون بيننا أسرار بعد الآن.»

رفعت يدها تمررها على آل.

قال رايان بخشونة مفاجئة: «انه ذلك الشخص الذي كان يدعى جيك. وكنت أربح غالباً عندما اتسلى واياه بلعب الورق، ولهذا كان يكرهني رغم أنني كنت أربح دون خداع. ويبدو أنه كان يلومني لغبائه في اللعب. وكان اكبر مني سناً بكثير. كان بالطبع يعيش بالاحتيال على المؤسسات الخيرية لنيل الاحسان. وإن كان يستحق جيك الاحسان، هو شيء يدعو إلى السخرية حقاً إذا انت فكرت في ذلك.» وكانت أنجيلا تحاول ألا تفكر في ذلك، ولهذا لم تجبه.

وتابع رايان قائلاً: «على أي حال، كنت سمعت أنه كان يتهددني ولكن سني الحدث وضلالي، جعلني لا أهتم بالأمر. وذات ليلة عندما كنت خارجاً من المقهى لأستنشق شيئاً من الهواء النقي... وكان اصدقائي في الداخل، إذا به يقفز عليّ وهو يحمل في يده سكيناً. فقبضت على معصمه وأخذنا نتعارك، ولا أدري كيف التوى السكين في يده لتنتهي مغروزة في صدره. وكنت أنا احاول أن آخذها منه. وفي الحقيقة اظنه طعن نفسه. وذلك ما قالته المرأة الشاهدة في رسالتها التي كتبتها إليّ. فقد كانت هي خارج المقهى مع صديقها، ورأت كل ما حدث.»

وحول رايان أنظاره عن النافذة، وأخذ يمر بظهر يده

على جبينه الذي كان العرق يكسوه وتابع يقول: «لم أكن أود قتله. صحيح أنني لم أكن أحب جيك، ولكنني لم أكن قاتلاً بطبعي.»

وضعت أنجيلا يدها على كتفه قائلة: «أوه، رايان...» ولكنه نفض يدها عنه، فعادت تقول: «رايان انك مازلت تلوم نفسك. أليس كذلك؟ ولكن الذنب لم يكن ذنبك؟»

فأجاب: «بل كان الذنب ذنبي لأنني كنت أعيش ذلك النوع من الحياة. ومع اصدقاء يحملون السكاكين.» وأطلق ضحكة وجدتها أنجيلا اكثر بشاعة من القصة التي حدثها بها. وتابع يقول: «ومن غيري تظنينه أجدر باللوم؟»

فأجابت: «لا أدري. ولكن... لقد مات جيك لأنه هاجمك... رايان، إنني لا أفهم، لقد كان واضحاً أن مسألتك كانت دفاعاً عن النفس. فكيف ادانوك إذن؟»

فأجاب: «لم يكن أي شيء واضحاً، كما تقولين. فقد كنت معروفاً لدى الشرطة بأنني مسبب للمشكلات ولم يكن لديّ شهود. كلا، ولا لدى الادعاء، وهذا ربما كان السبب في تخفيض نوع الدعوى إلى جعلها من نوع القتل غير المتعمد، وكان هذا من حسن حظي.»

وقالت محتجة: «ولكن ما كان لهم أن يدينوك ابداً. ذلك أنه لم يكن أمامك طريق آخر للتصرف.»

فأجاب: «كان بامكاني ان اكون بعيداً عن كل هذه المشكلات. فإن سلوكي لم يجعل احداً يتقدم ليكفلني.»

فقالت: «نعم. فهمت.» وربما فهمت في الواقع اكثر مما تصور هو.

حدقت في رأسه الذي كان قد أداره بعيداً عنها، وفي

شعره الذهبي الداكن الذي كان مكوماً جعداً على رقبته. وقد فهمت لأول مرة السبب الذي جعل رايان ذلك الرجل الفظ الواثق من نفسه، رجلاً تحمّل مسؤولية أخطاء ماضيه، فأخرج نفسه، بمجهوده الخاص، من الهوة التي سقط فيها، ليصبح فرداً صالحاً في المجتمع حيث يعيش. انساناً يحاول دون تأثر بالعواطف، ان يعيد الضالين امثاله إلى الطريق الأمثل حيث يمكنهم أن يكونوا افراداً صالحين.

ذلك لو أن رايان كان رجلاً أقل مما هو، قوة في المبادىء وتمسكاً بالمثل، رغم هفوات ماضية، إذن لأذعن للواقع دون أي جهاد.

قالت أنجيلا برقة: «لقد انتهى الماضي يا رايان، فلا تنظر إليه بعد الآن.»

قال بهدوء: «ان هذا غير مهم بالنسبة إليك. أليس كذلك؟»

فأجابت تسأله: «ما هو غير المهم؟»

أجاب: «واقع أنني لم أبرىء اسمي رسمياً. وربما لن أفعل ابداً، ذلك ان الشاهدة حسب علمي ماتزال تعيش مع زوجها.»

فقالت أنجيلا بابتسامة شاردة: «كلا. كلا، هذا لا يهم. فأنا لست كوني وأظن ان الحق كان معك حين لم تشأ ان تسبب الألم لزوج تلك المرأة اكثر مما سبق وتألم بسبب سلوكها.»

وأشرق وجه رايان وقال: «اشكرك.»

رأى آل جسراً يؤدي إلى كومة اخرى من الشعر بحاجة إلى جذب، فركض على ذراعه ثم قفز إلى رأسه.

www.elromancia.com

انتفض رايان جالساً بعنف وهو يهتف: «يالك من...» ولم يعد وجهه مظلماً كئيباً بل كان فمه مفتوحاً بذهول.

قالت أنجيلا: «انه آل فقط وليس نسراً عملاقاً، يفتش عن شيء يصطاده.»

أطبق رايان على شفتيه بحدة وأمسك بالطائر الصغير فوضعه على اصبعه امام وجهه وهو يخاطبه قائلاً: «انت. أيها الطائر الشرير. ولكنني أظنك ضمن المعاهدة.»

فسألته: «أية معاهدة؟»

فأجاب: «انت. هل هناك أمل في أن تأتي إليّ من دون هذا الطائر؟»

أجابت أنجيلا باسمة: «كلا. انني وآل شريكان.»

فقال: «اوه. هل ستكونان شريكين معي؟»

أجابت: «طبعاً. سنكون ثلاثياً، نحن الثلاثة.»

فقال: «يا للطائر القبيح.»

فقالت وهي تقبض على الطائر وتعيده إلى قفصه: «قلت لك انه ليس طائراً قبيحاً.» بينما كان الطائر يزعق مشمئزاً.

كان الوقت نهاية أيلول (سبتمبر). وكانت اوراق الشجر تتساقط. وكانت انجيلا تشعر بتغير في جسمها.

لقد مضى على زواجها من رايان شهران فقط، ومع هذا علمت أنها حامل بفرد آخر من آل كونيسكي، فقد اثبتت التحاليل المخبرية هذا الأمر بعد ظهر هذا اليوم. ولكنها لم تجد بعد الفرصة لتخبر زوجها بذلك.

كان الاثنان يمضيان نهاية هذا الأسبوع مع الأب هاري والعمة شارلوت. ولكنهما كانا قد اتفقا على السفر متفرقين

لأن رايان كان سيتأخر في قضيته التي يعمل بها. وكانت أنجيلا قد وصلت مبكرة للاشراف على تطبيق اجراءات انتقال منزلها إلى محام متوسط في العمر، كان قد ابتاعه منها كما وافق على أن يأخذ إليه روبين كذلك.

وما أن أخذت تحدق من النافذة إلى ازهار الأقحوان المغروسة قرب البوابة، وهي تفكر في حظها الحسن الذي ساعدها على التخلص مما تعمله، بهذه السرعة، فقد سبق واشترت هي ورايان، منزلاً فوق تلة في مدينة سيتل، وبعد ذلك ستلتحق بشركة قضائية في المدينة، وهذا ما كانت في اعماقها تريد تأجيله بعض الوقت. فالآن، كل ما كانت تريده هو رايان، وطفله الذي كان ينمو في احشائها.

لمعت عيناها حين رأت سيارة زوجها تتوجه نحو المنزل، فهرعت فوق الحشائش تستقبله بذراعين مفتوحتين.

قال باسماً وهو ينظر إليها: «انك تبدين كشجرة العيد المزينة، بثوبك الأخضر هذا والأنوار المنبعثة منك.»

أجابت برقة: «انك أنت الذي أضأت هذه الأنوار.»

أخذ رايان يفكر في مبلغ جمالها، انها حقاً تزداد جمالاً كل يوم. وتساءل كيف بلغ من حماقته ذات يوم، أن يتصور ان بإمكانه ان يتركها. وتذكر حياته القديمة المنعزلة وراء الجدران، وقارنها بالبهجة التي يتمتع بها الآن في الأيام والليالي المليئة بالضحك وحب أنجيلا. وكان أحياناً يجد أن من الصعب عليه ان يصدق ان هذه السعادة ستدوم. وكم كان أعمى وأحمق عندما كان يظن ان حياته قبل انجيلا، كانت مكتملة.

قالت وهي تضحك لاستغراقه في التأمل: «اننا محظوظان.»

رفع حاجبيه وهو يسألها: «محظوظان؟»

فأجابت: «نعم، لاسراعنا في الزواج دون ضجة.»

فقال: «آه، لقد تغلبت على استيائها إذن؟ مسكينة عمتي شارلوت.» كان يعلم ان عليه ان يشعر بالندم اكثر من ذلك، ولكن كيف يمكنه ان يندم على الزواج من أنجيلا؟

لقد ثارت ثورة شارلوت، بينما أحس الأب بالارتياح، بينما أذعنت أسرة أنجيلا للأمر، وذلك عندما أصر رايان على رأيه وتزوج عروسه في أواخر شهر تموز (يوليو) بحضور اسرتيهما فقط ومارتن وسارة وكان قد قال موضحاً سبب ذلك، انه بعد انتظار ثمانية وثلاثين سنة لكي يعثر على حبيبة عمره، سيكون تقليدياً إذا كان عليه فوق هذا، ان ينتظر كل تلك الفوضى المتعلقة باجراءات الزفاف والمدعوين، والأزهار والثياب ومن سيغني في العرس.

أما أنجيلا فقد اوضحت ان الأمر سيان عندها، في أي وقت يعجب رايان.

وقالت وهي تعبث بربطة عنقه وعلى فمها ابتسامة غامضة: «ان عندي لك خبراً.»

فقال مخمناً: «لقد ولدت سارة طفلها.»

فأجابت: «نعم انه أخ لتوني وكارولين. وقد سمعت لتوي ان فيت حامل هي أيضاً. ولكن هذا ليس ما...»

فقاطعها قائلاً: «يبدو أن عدوى التوالد في هذه المدينة بمثل نشاط الثرثرة والغيبة.» وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، فقد ابتدأ يعتاد جو هذه المدينة وثرثرتها.

كانت أنجيلا تفكر بالشيء نفسه وهي تحيط عنقه بذراعيها وعلى فمها ابتسامة حالمة. فقد كان رايان يبدو

عشر سنوات على الأقل، اصغر من ذلك الرجل الخشن الذي تعب من حياته، والذي رأته لأول مرة في عصر ذلك النهار الحار من أوائل أيار (مايو).

وما لبثت ان وقفت على اطراف اصابعها لتهمس في أذنه.

بدا عليه الذهول لحظة، ليشرق بعدها وجهه الوسيم بابتسامة عريضة، وهو يتأملها بفرح واعجاب. كان أبوه واقفاً على الدرجات امام الباب ينظر إليهما. وناداه رايان بأعلى صوته: «تعال ياأبي إلى هنا حالاً. فأنا وأنجيلا سنخبرك بشيء.»

قطب الأب جبينه، ثم سار فوق العشب نحوهما وقد بدا شعره اشعث اكثر من المعتاد. وسألهما: «لم كل هذه الضجة؟ هل هنالك مزيد من مضايقات السيارات؟»

فقال رايان ضاحكاً: «كلا. ليس ثمة مضايقات ابداً، وهذا من باب التغيير، ولكن المسألة هي أن أنجيلا ستنجب طفلاً.»

وللحظة، بدت ملامح هاري على وشك التغضن وما لبث ان قال بصوت اذهلته المشاعر حتى لم يكادا يسمعانه: «طفل؟ أتظن أن الطفل غير معدود من المضايقات؟» وحنى رأسه. وتمنت أنجيلا أن لا يكون الخبر ثقيلاً عليه. ولكن عندما رفع رأسه، كانت عيناه تتألقان وهو يقول بهدوء: «عندي احساس بأن كل شيء هذه المرة سيكون على مايرام. وأنا اعتقد انني سأستعيد ما سبق وفقدت. انني لم أفكر ابداً بأنني سأعيش لأرى ذلك اليوم.» وفجأة، وضع يده على ذراع رايان، وكان في عينيه دموع وفي صوته لهفة

www.elromancia.com

جعل أنجيلا تتساءل عما سيتبع ذلك. وقال هو يخاطب ابنه: «إذا كان الطفل أنثى، هل ستسميها لورا؟»

إنه اسم والدة رايان، وقالت أنجيلا دون ان تترك مجالاً لزوجها ليرد بنفسه: «آه، طبعاً سنفعل ذلك.» وابتسمت للرجل المسن الذي كانت دموعه الآن تجري دون خجل، على وجنتيه.

بدت على شفتي هاري ابتسامة عريضة. وبدا عليه وكأن الشمس قد اشرقت بعد سنوات من المطر. وأمسك بيدها يضمها إلى يد رايان وهو يقول: «شكراً لكما. شكراً يا أعزائي. هل شارلوت تعلم بذلك؟»

فأجابت أنجيلا: «لم تعلم بعد. فأنت أول من علم بالأمر.»

وهرع هاري بخطوات شاب نشيطة إلى داخل المنزل ليزف الخبر إلى شارلوت.

قال رايان: «لقد جعلتنا، نحن الاثنين سعيدين جداً، يا حبيبتي.»

كان رايان يبتسم لها وقد تألقت عيناه بالحب والحنان، ما جعل أنجيلا تشعر بغصة في حلقها وهمست: «انني اسعد امرأة في العالم.»

فمد رايان أصابعه يتخلل شعرها وهو يقول: «وقد تزوجت أسعد رجل في العالم.»

وكانت السيدة غرابر ومافيس براكين في الجانب الآخر للشارع، عندما شاهدتا رايان يطوق خصر أنجيلا. ولم تتأثرا عندما لوّح لهما بيده محيياً، ثم عاد يحتضن زوجته من جديد.

وتمتمت السيدة غرابر: «يا للعار.»

فوافقت مافيس براكين على كلامها قائلة باكتئاب: «ان هذا فحش.»

قال رايان: «يا للفضيحة. هل أفعل ذلك مرة اخرى؟»

فأجابت أنجيلا وهي تطوّق عنقه بذراعيها: «نعم. أرجوك.»

فعاد رايان لاحتضانها. وعندما استدارت المرأتان لترَيا المشهد. بشكل افضل، ذهلتا وهما تريانه يحملها بين ذراعيه متوجهاً بها نحو المنزل وقهقهاتهما تتعالى.

تمت